الصلاة مجمع الكمال

دعوة جديدة للصلاة

الصلاةَ مجمع الكمال

دعوة جديدة للصلاة

فوزيِ آل سيِف

مراجعة

عبدالعزيز المرهون

الطبعة الأولى
٢٠٢٠م

أطياف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.
المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس : 00966138549545
atyaf.qatif@gmail.com

الإخراج الطباعي

mojaded@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة

إذا كا ن لكل شيء عنوان، فإن عنوان الدين الإلهي هو الصلاة، ولا غرابة بعد ذلك أن تبوأت هذا الموقع المتميز في الشرائع السماوية.

فهي في الدين الاسلامي الفريضة اليومية المتكررة في خمسة أوقات، والتي لا تسقط عن المسلم في أي حال من الأحوال على خلاف بعض الفرائض الأخر التي قد تسقط في بعض الأحوال. وهي العنوان الذي يترتب عليه الكثير من الأمور فأذانها يعلن عن عقيدة المجتمع المسلم، ومسجدها يشير بوضوح إلى هويته الاجتماعية. بل هي العلامة الأساس لانتماء المسلم لذلك المجتمع.

وكذلك الأمر في المسيحية فإن «الصلاة» كما يذكرون في تعاليمهم هي «في كل حين ولا ينبغي أن يمل» ونجد موقع

الصلاة عند اليهود قريبا مما هو لدى المسلمين في أوقاتها بل وفيما قيل عن الاستقبال فيها والتطهر مما قد ذكرناه في بحث تشريع العبادات.

وبين يديك أخي القارئ أختي القارئة عدد من المواضيع التي ترتبط بهذه الفريضة، عنوان الدين وعمود خيمته لتساهم في التذكير بالصلاة ومعانيها ولتشجع على الالتزام بها في بيوت الله في أول أوقاتها في جماعة، وفي نفس الوقت لتساعد من يتهاوى أمام ضربات الشيطان -الذي ﴿يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾- على النهوض واستعادة موقعه كمحب لله تعالى يقف بين يديه مخاطبا إياه بـ (إياك نعبد وإياك نستعين)..

وسيلاحظ القارئ والقارئة أن مواضيع هذا الكتاب تتنوع وتتداخل وتجتمع وتتمايز ففيها شيء من البحث التاريخي عن تشريع الصلاة في الشرائع السماوية وفي تاريخ الإسلام، كما فيها بعض البحث عن تفاصيل الصلاة ومعانيها، أفعالها وأذكارها، مظاهرها وفلسفتها، بقدر ما يناسب الخطاب العام للشباب والشابات بعيدا عن التعقيد اللفظي والمعاني صعبة الاستيعاب.

كما أن فيها بعض البحث الأخلاقي للتحذير من مظاهر التهاون بهذه العبادة العالية، أو للحديث عن أسباب عدم تأثيرها (الكامل) في بعض من يصلي، وهكذا بعض الصفحات حول فائدة الصلاة في هذا العصر.

إن الفئة التي تستهدفها هذه الصفحات هي الفئة الشابة، وهذا الاستهداف سيؤثر على لغة الكتاب وحجمه وأفكاره وهو ما حصل بالفعل.

يعيدني هذا بالذاكرة إلى ما قبل خمسين سنة، لأتذكر والدي المرحوم عندما كان يأتي لنا بكتب منها (كيف تصلي اليومية) مع صعوبة الظروف السائدة آنئذ. إلا أنه كان حريصا على نشر وتوزيع مثل ذلك الكتاب، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب له بذاك وهذا أجر الداعين إلى الصلاة.

اليوم أيضا نحن بحاجة إلى الدعوة إلى الصلاة (كتابة وخطابة وتحريضًا وعبر المسابقات، وتربية في البيت، وتأكيدا ونصيحة في المدارس) وهكذا. وقد سمعت أن بعض الأفاضل المؤمنين في بلادنا قاموا بمبادرة الدعوة إلى الصلاة في فترة من كل سنة –من ٢٠ محرم إلى ٠٢ صفر– وبقدر ما سررت بهذه المبادرة، تمنيت أن لو تكون هذه المبادرة طوال السنة وأن تتحول إلى مؤسسة للدعوة للصلاة وأن تنتقل من بلد إلى بلد حتى يتحقق ما جعله القرآن وظيفة لمن هو ممكن في الأرض ولو بمقدار الدعوة للصلاة والإرشاد لها ﴿الَّذِينَ إِنْ مكنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ..﴾ ومن منطلق الاهتمام بالصلاة جاء هذا الكتاب ليمثل دعوة جديدة إلى الصلاة بأسلوب عصري ولغة جديدة قدر الإمكان تتناسب مع ابنأء هذا العصر.

في الأخير أشكر أخانا الخطيب البارع الأستاذ عبد العزيز

المرهون الذي دقق المتن وصححه وكتب حواشيه وجعله الله بفضله ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ إن شاء الله، فجزاه الله خير الجزاء وشكر سعيه. كما أشكر الأخ الفاضل أحمد علي لإخراجه المتميز لهذا الكتاب.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

الجمعة ٦ شوال ١٤٤١ هـ

الصلاة مَجمَع الكمال

لماذا الحديث عن الصّلاة؟

لا يخفى على أحدٍ من المسلمين ما للصَّلاة من أهميّةٍ كبرى في الإسلام، فهي عمودُ الدّينِ ووَجْهُه، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام عن أبيه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: لِكُلِّ شَيْءٍ وَجْه و وَجْه دِينِكُمُ الصَّلاة»[1].

وهناك أكثر من سبب يدعونا إلى تكرار الحديث عن الصّلاة، ومن تلك الأسباب أنَّ الإنسان على أثر التكرار لا يلَتْفت إلى المعاني الجميلة والبديعة المرتكزة في ذلك الشّيء المتكرر.

فلو سألنا مثلاً: مَن مِنّا يستيقظُ صباحاً فينظرُ إلى الشَّمس فيرفعُ يديه بحمدِ الله -عزّ وجلّ- وشُكْرِه على هذه الشَّمس المخلوقة لنا،

(١) الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٧٠.

والتي لولاها لكنّا في ظلام دَامس، ولولاها لما أكلنا ثمرةً مِنْ نبتةٍ من نباتِ الأرض لكونِ النَّبات يعتمدُ على هذه الشَّمس وضوئها في النّمو، مَنْ مِنَ النّاس تَوَجّه بالثَّناء على الله على هذه النّعمة التي لولاها لكانَ كثيرٌ من البشر مصابين بالأمراض كالكساح(١) أو الشَّلل أو وهن العظام وما شابه ذلك نظراً لأنّ بعض الفيتامينات التي تُقوّي العظام كما يقول الأطباء لا تتوفر بنسبٍ معقولة إلا من خلال إشراقة الشّمس على هذا الإنسان؟

إنَّ أَكْلَ الإنسان وصحّتَه وضياءَه، بل وحضارته معتمدٌ على هذا المخلوق ألا وهو (الشّمس)، ولكنْ أصبحت في إشراقتها كلَّ يوم زائرًا عاديًّا لا يتم الالتفات إليه، ولا يَستحضر الإنسانُ نعمةَ الله -عزَّ وجلَّ- من خلال إشراقتها، ولا يفكّرُ في أنَّ هذا الإشراق له هذه الآثار العظيمة عليه، لماذا؟!

الجواب ببساطة لكثرة التّكرار والنَّظر الدَّائم إليها، فهو ينظرُ إلى الشَّمس نظرة عابرة دون تفكّر، كذلك هو الحال بالنسبة إلى الصَّلاة نجد الكثير يصلي ولكن هل يلتفت إلى الآثار التي تحققها هذه الصَّلاة والمعاني التي تختزنها والدور الذي تقوم به حتى جعلها في رأس منظومة العبادات الإلهية ؟! هذا ما لا يحصل عادة، وهذا ما سوف نتطرق إليه ونلم ببعض جوانبه.

---

(١) مَرَضٌ يُصِيْبُ عظام الإِنسان، و هو نَقْصٌ في فيتامين (د) يُسَبّبُ لِيْنًا و ضَعْفًا في العظام، ومن أهم أسبابه عدم التّعرّض الكافي لأشعة الشّمس.

كيف نتعامل مع الصلاة؟

يتعامل البعض منّا مع الصّلاة باعتبارها واجبًا من الواجبات الذي لابد أنْ يُؤدّيه، فالغالب أنَّنا نصلي لنرتاح من الثقل المحمول على ظهرنا، فكأنّنا حين نصلي نطرح هذا الثقل ونرتاح منه، لا نرتاح به ولا نرتاح إليه، في حين أنَّ الصّلاةَ راحةٌ وسَكَنٌ ومن هنا كان النبيّ محمّد ﷺ حينما يحلُّ وقت الصَّلاة، يقول لمؤذّنه بلال بن رباح رضي الله عنه: (أرحنا يا بلال)[1].

إعادة التفكر في الصَّلاة

من الأسباب التي تدعونا إلى إعادة التفكر والتدبر في الصلاة أنّ هذه العبادة صلةٌ و رابطةٌ وثيقة بيننا وبين خالقنا، تبعثُ في قلوبنا الاطمئنان، وهي أساس صفاء الروح، فهي تبعث في النّفس رادعًا ليتخلّص الإنسان بها من كلّ قبيح.

ومن الأسباب المهمة أيضاً التي تدعونا إلى إعادة التأمّل في الصلاة أنَّ قسماً من الأجيال الجديدة في فترات المراهقة أو أيام الشّباب لا تفهم حقيقة الصّلاة، فتهملها أوتتركها أوتستخفّ بها، فبعض الشّباب تجده يترك الصلاة. لماذا؟ ؛لأنه يعتقد أنّها شُغْل المتدينينَ أو كبار السّن، وتجد فتاة مثلاً تعيش وسط محيط معين ترى أنّ قضيّةَ الصَّلاة لا تنسجمُ مع شكل الحياة الحديثة، فالصّلاة شأنُ

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ج٨٠، ص١٦.

النّساء الكبيرات ذوات الخمسين عاماً وأكثر، وبالتالي تجد بعضًا من الشّباب والفتيات اتبعوا هذه الدعوات وانسجموا معها وتوافقوا اجتماعياً مع مروّجيها، فلم يقفوا على فهم جديدٍ لهذه الصّلاة يجذبهم إليها، ومن هنا سنحاول أنْ نقدّم فهماً جَديدًا لحقيقة الصّلاة يجذب أبناء الجيل الجديد إليها.

الصَّلاة أوَّلُ عبادةٍ نُدْعَى لها

هذه العبادة العظيمة تبدأ معنا و نُدْعَى إليها مُنْذُ اليوم الأوَّل لولادتنا، ولا تفارقنا إلا بعد أَنْ نُدْفَن، فالمسلم في أوَّل أيام حياته يُدْعَى فيها إلى الصَّلاة لأنَّ المستحب المؤكَّد عندنا أنَّ المولود عندما يُوْلَد يُؤَذَّن في أُذُنه اليمنى ويُقَام في أُذُنه اليسرى، ففي وصايا النَّبي ﷺ لعليّ عليه السلام: «يا عليّ إذا وُلِدَ لك غُلامٌ أو جَاريةٌ فأَذِّنْ في أُذُنُهِ اليُمنى وأَقِمْ في اليُسرى، فإنَّه لا يَضُرُّهُ الشَّيْطَان أبدًا»(١).

الأَذَانُ خَارِطةُ طَرِيْقٍ عَقَائديَّة

الأذانُ هو نداء الصَّلاة وفيه الدعوة إليها : حيّ على الصّلاة، حيّ على الفَلاح، حيّ على خير العَمَل، وفي الإقامة: قَدْ قَامَت الصَّلاة، فتأكيدُ الإسلام على استحبابِ قراءة الأذان في أُذُن المولود اليُمنى، وقراءة الإقامة في أُذُنِه اليُسرى ليس عبثًا، حيثُ إنّ ذهنَ هذا الطِّفل ودماغَه وذاكرتَه صافية، لا يُوْجَدُ بها أيُّ شيءٍ إنّما أُريد

---

(١) المصدر السابق، ج٧٧/ ٦٦.

أنْ تلتصقَ الصَّلاة في ذهنهِ وفي ذاكرتهِ مُنْذُ أوَّل أيامهِ لما له من أثرٍ كبيرٍ في صلاح هذا الولد و في مستقبله.

الأذانُ الَّذي يَحْوي على مُجْمَل أمورِ العقائدِ الدينيّة و أمورِ الحياة والدَّعوةِ إلى العملِ الصَّالح وإلى خَيرِ الأعمال، وفيه الدَّعوة للنّجاح والفَلاح والصّلاح والعبادة، يبدأ بكَلمةِ الله، ويُخْتَم بكلمةِ الله.

فالأذانُ مختصرُ برنامج حياةِ الإنسان العقائديّة، وصِيْغَتُه هذه لا يُمْكن أَنْ تكون نِتاجاً بَشريًّا حَصَلَ عِنْدَ نوم أحدِ العبّاد مثلاً وإنما هي نِتاجٌ إلهيٌّ ربانيٌّ، هذا النّتاج الإلهيّ يختصرُ برنامج حياة الإنسان العقائديّة، ففي الأذان التكبير والتَّهليل، والشَّهادة لله بالوحدانية، والشَّهادة للنَّبي ﷺ بالنُّبوة والرِّسالة، وعندنا -نحن الإماميّة- الشَّهادة بالولاية لعليّ عليه السلام مُكَمّلةٌ للشّهادة بالرّسالة، ومستحبّة في نفسها وإن لم تكن جزءاً من الأذان على المشهور عند الفقهاء، فهي تُشَكِّلُ المسألةَ العقائديَّة لدى الإنسان المؤمن.

الأذان دعوة إلى العمل الصالح (حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلْ)

إنّ سببَ النَّجاح في الحياة الدنيا وفي الآخرة العملُ الصّالح والطيّب، والأعمال الخيرة و البناء في الحياة، هذه كلُّها موجودة في الأذان، فيبدأُ الإنسانُ المسلم في أوّل أيام حياتهِ وأيّام وجودهِ في هذه الدنيا مَدْعُوًّا إلى هذا البرنامج، وهو برنامج الأذان والإقامة الَّذي هو مُقَدّمة الصّلاة، وتنتهي آخر أيام حياتهِ فيُنَادى: أنْ هَلِمُّوا صَلُّوا عليه صَلاةَ الجنازة والميّت، حتى تكون الصّلاة آخرَ عهدهِ وبعدها

يدفن، هذا على المستوى الشخصي في حياة الإنسان.

الظَّواهر الكونيَّة وتناغمها مع الصَّلاة

أمَّا على المستوى الطَّبيعيّ في حياةِ الكائنات، قد لا نَجِدُ عبادةً من العبادات تتوافق مع الظَّواهر الكونيَّة و الطَّبيعيَّة كالصَّلاة الَّتي يُصَلّيها الإنسانُ المسلم، وهذا فيه إشارةٌ لقضية الانسجام بين عالم التَّكوين والطَّاعة لله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فالسَّماوات والأرضون عُرِضَتْ عليها الأمانة عُرِضَ عليها أمرُ الله أَنْ تَقْبلَه طَوْعًا أو كَرْهًا فَأَجَابَت بالطَّاعة، وطاعتها اسْتِجَابتُها لنداءِ الله -عزَّ وجلَّ- من خلالِ حركتِها المرسومةِ لها بدّقة، والإنسانُ يتوافق معها، فإذا طَلَع الفجر -وهي ظاهرة كونيَّة- صَلَّى هذا الإنسان، وإذا زَالَت الشَّمس وانتصفَ النَّهار صَلَّى، وإذا غَرُبَت الشَّمس صَلَّى، فكما أنَّ هذا الكون يتحرَّك ضِمْنَ قانونِ الله - عزَّ وجلَّ - والطَّاعة لربّه، فكذلك الإنسان المسلم مُنْسَجِمٌ مع هذه الحركة الكونيَّة.

ظواهر كونية تستدعي الصَّلاة

هناك جملةٌ من الظَّواهر الكونيَّة الَّتي تظهر في هذا الكون و هي تستدعي الصَّلاة أيضًا كظاهرتي الخسوف و الكسوف، الّتي يُحَاول البعض جَعْلَ صلاة الآيات -وهي الصّلاة التي تُصلّى عند ظهور

هاتين الظّاهرتين- لامعنى لها، لأنَّ الخسوفَ والكسوفَ ظاهرتان كونيّتان من الممكن أَنْ يحسبها العلماء ويتوقعوها لما بعد عشرات السنين، أين ومتى تحصل، فهي ليست ظاهرة مخيفة.

ففي الزَّمنِ القديم لأنَّ النَّاسَ لا يعرفون أسبابَ هذه الظواهر الكونيَّة تظهر حالة الخوف والهلع وتسيطر عليهم ويربطونها بحكايات وأساطير، فيقال إنّ الشَّمس ابتلعها الحوت، والشَّياطين تنطلق من معاقلها وتنزل لتأكلهم، وغير ذلك من الحكايات، فكانت الناسُ تخاف وتهرع للصَّلاة، أمّا الآن مع تطوّر العلم والمعرفة لا داعي لصلاة الآيات.

وهذا اشتباه في الفهم، فصلاة الآيات تماماً كصلاة الفجر وصلاة الظُّهر، فكما أنَّ الكون يحصلُ فيه تَغيُّر، تارة يكون هذا التَّغيُّر مُرَتَّبًا على أساس بداية اليوم كطلوع الفجر، أو انتصافه بزوال الشَّمس، أو نهايته بغروبها، وعلى أساس هذا التَّغيُّر الكوني يُصلّي الإنسان، فكما أنَّ الكونَ مستجيبٌ لأمرِ الله -عزَّ وجلَّ- تكوينًا، كذلك الإنسان مستجيبٌ له تشريعًا بصلاته في هذه الأوقات المختلفة، فهذا الكون -بما يحويه من شموس وأقمار وكواكب ونجوم وغيرها- وُضِعَ له برنامج وقانونٌ دقيقٌ منضبط يسيرُ عليه لجعل هذا الإنسان منضبطاً لا يتأخر قيد أنملة، وهو ما يجعل الإنسان قادرا على اكتشافه.

فلولا قانونُ الله وبرنامجه لهذه الكائنات لما استطاع الإنسان أَنْ يحسب هذه الحسابات أبداً، فلو فرضنا أَنَّ هناك مساحةً حرَّةً للشَّمس وفي كلّ سنةٍ أو شهر لها الحرية أَنْ تفعل ما تشاء، أَنْ تتحرك

للشَّرق أو للغرب، أَنْ تُسَرّع أو تُبَطّئ من حركتها كيفما يحلو لها، لما استطاع الإنسان أن يحسب هذه الحسابات، ولكنَّ هذه الشَّمس وذلك القمر وتلك الأرض خاضعةٌ لقانون إلهيّ دقيق وممتثلة له، كذلك الإنسان المسلم خاضعٌ لنفس القانون ولنفس هذا الأمر الإلهي، فكما أنّ السماء والأرض (ائْتِيَا طَوْعًا) فصلت: ١١، كذلك الإنسان المسلم ينبغي عليه أن يأتيَ طائعاً ملبّياً راغباً مُتَذكراً نعمةَ اللهِ وعظمتَه، فقضيةُ الكسوف والخسوف ليست ضمن الظَّواهر المتعلقة بالخوف من المجهول؛ لأنّه لا ربط لها بالخوف، بل حتى لو أنَّ الإنسان لم يخف ولم يرتعب فعليه أن يصلي صلاة الآيات في ظاهرتي الخسوف والكسوف.

لذلك هذه الصَّلاة يجبُ الإتيان بها على كلِّ مُكَلَّف عدا الحائض والنُّفساء[١]، نعم هي تجبُ بالإضافة إلى ذلك عند كلِّ مخوف سماويّ، والمعيار فيها: أَنْ تكونَ مخيفةً[٢] بحسبِ النَّوع بمقتضى طبع الإنسان وإن لم يحصل الخوف فعلاً عند بعض الأفراد بسبب التَّعوُّد أو قسوة القلوب أو تفسير الحوادث تفسيرًا علميًّا أو غير ذلك.

---

(١) الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ص١٩٥/ السيستاني، الفتاوى الميسّرة، ص١٩٢/ السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ص٢٣٩/ الخميني، تحرير الوسيلة، ج١، ص١٩٢/ الشيرازي، المسائل الاسلامية ، ص ٣٨٦.

(٢) اليزدي، العروة الوثقى، ج١/ ص٧٢٥/ الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ص١٩٥/ الخميني تحرير الوسيلة، ج١، ص١٩١/ السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ص٢٣٩.

فالصّلاة تتفاعل وترتبط بعالم التّكوين في الطّبيعة، بينما بقيةُ العبادات ليست كذلك، إذ لا يوجد لدينا صَوْمٌ للشّمس أو لظاهرةٍ تعلّقَت بها، أو حَجٌّ يرتبط بالفجر والظُّهر وما شابه ذلك، وإنّما الصّلاة هي الّتي ترتبط بهذه الأوقات وترتبط بهذه الظّواهر الكونيّة أو بعضها، بل تَرتبط بها ارتباطًا يؤثر بعالم التّكوين، فإذا حَدَثَ قَحْطٌ وجَفَاف وغير ذلك فَزَعْنَا إلى صَلاة الاستسقاء، إذ من الممكن أَنْ تُؤَثّر هذه الصّلاة في عالم الطّبيعة وتُحَوّل الفقر إلى غِنى والْجَفَاف إلى خَصْبٍ ورَيّ، وهذا لا نجدُه في سائر العبادات الأخرى.

صلواتٌ اجتماعيّة

أمّا على المستوى الاجتماعي لدينا صلوات خاصّة ترتبط بالاجتماع كصلاة العيدين والجمعة، فصلاة العيدين مناسبة للابتهاج والسُّرور والاجتماع، وليس لدينا صَوْمٌ بمناسبة العيد، ولكن عندنا صلاة بمناسبة العيد في تأكيدٍ على المنهج الاجتماعي الّذي تُعبّر عنه الصّلاة.

ولهذا كانت من خصائص الصّلاة أنّها لا تسقط بأيّ حال، ففي الخبر عن صادق أهل البيت عليهم السلام في ذيل السُّؤال عن حال المستحاضة عَلّلَه أنّها يَجِبُ عليها أَنْ تصلي وبأنَّ الصّلاة لا تسقط بحال[1].

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي ٢/ ٣٧٢: في ذيل حديث زرارة عن الإمام عليه السلام قال: «..ثمَّ تُصلّي ولا تدع الصّلاة على حال، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله، قال: الصّلاةُ عمادُ دينكُم..».

الصَّلاة عبادةٌ لا تَسْقُط في أيّ حَال

هناك عبادات تَسْقُط في حال المرض والسفر كالصّوم، فإنّه يسقط في حينه ويُقْضَى لاحقاً ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّام أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، أمّا الصّلاة فهي واجبة ولا تَسْقُط عن الإنسانً حتَّى لو كان لا يستطيع أن يُحرك عضواً واحداً من أعضائه فهي واجبة عليه، يُوْمِئ إيماءً، وإن لم يستطيع فليُحَرّك رِجْلَه، وإنْ لم يستطع فليُحَرّك يديه، وإن لم يستطع فليُحَرّك طرف إصبعه، و إن لم يستطع فليُحَرّك طرف عينه، وإن لم يستطع يضطجع... وهكذا، فعليه أن يحاول ويحاول؛ لأنّ الصّلاة لا تسقط على أيّ حال، وهذا يبيّن أهمّيتها عند الله عزّ وجلّ.

بينما نجد فريضة الحجّ على أهميتها وهي واجبةٌ مرّة واحدة في العمر فإنَّها تَسْقُط عند عدم الاستطاعة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فإذا كان لديك الصَّحة وسائر شروط الاستطاعة يجب أن تحجّ، أما لو فقدت واحدًا منها أو أكثر يسقط عنك الوجوب بينما في الصَّلاة لديك الصّحة أو ليست لديك فإنّها لا تسقط، نعم كيفية هذا الواجب تنتقل من درجة لدرجة أخرى ومن حالة لأخرى .

بل يذكر العلماء أنّه حتَّى في الحرب المحتدمة لا تُترك الصَّلاة، فهناك صَلاة تُسمَّى صَلاة الْمَسَايَفَة(١)، والمسايفَة: يعني السيوف

---

(١) تسايف القوم، أي تضاربوا بالسّيوفِ، المعجم: الوسيط.

مشتبكة مع بعضها البعض بحيث لم يتوقف القتال كالضَّرب المتواتر والطَّعن المتتابع، هنا أيضاً لابد للمقاتل أَنْ يُصَلّي ولا تَسْقُط عنه حتى في تلك الحال، فالصلاة إذن حالة استثنائية . سائر الواجبات قد تسقط لسبب أو لآخر إلا الصَّلاة فإنّها لاتسقط بحال، فعن الصادق (عليه السلام) في صلاة الزَّحف قال:«تكبير وتهليل، يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] »[١].

وعنه (عليه السلام) قَالَ: «في صَلاةِ الْخَوْفِ عِنْدَ الْمُطَارَدَةِ والْمُنَاوَشَةِ يُصَلِّي كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بالإِيمَاءِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُه وإِنْ كَانَتِ الْمُسَايَفَةُ والْمُعَانَقَةُ وتَلاحُمُ الْقِتَالِ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) صَلَّى لَيْلَةَ صِفِّينَ وهِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ لَمْ تَكُنْ صَلاتُهُمُ الظُّهْرُ والْعَصْرُ والْمَغْرِبُ والْعِشَاءُ عِنْدَ وَقْتِ كُلِّ صَلاةٍ إِلا التَّكْبِيرَ والتَّهْلِيلَ والتَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ والدُّعَاءَ فَكَانَتْ تِلْكَ صَلاتَهُمْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ الصَّلاةِ»[٢].

الصَّلاة كَمَعْنىً ومَضْمُون

وهنا لابد لنا أنْ نشير إلى بعض المعاني والمضَامين الَّتي تَحْملها هذه الصَّلاة وقد وَضَّحتها هذه الآية المباركة ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ

---

(١) الفقيه ١:٢٩٥/ ١٣٤٤.

(٢) التهذيب ٣:١٧٣/ ٣٨٤/ ورواه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير الكافي ٣:٤٥٧/ ٢، وروى العياشي في تفسيره عن زرارة ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) مثله تفسير العياشي ١:٢٧٢/ ٢٥٧، و أورده في الحديث ٢ و٨ من الباب ٢ من هذه الأبواب.

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

نجدُ في ذيل الآية تقريرًا مع التأكيد في قوله ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ﴾ (إِنّ) حرف توكيد، وَ الفعل المضارع ﴿تَنْهَىٰ﴾، أي أنَّ الصَّلاة في حالةِ استمرارٍ ومُضارعة ولا يُوجد تَوَقُّف، فهي مُسْتَمِرَّة في النَّهي، ليس أنَّها بالأمسِ نَهَتْه عن الفحشاء والمنكر واليوم توقَّفتْ عن نَهْيه، لا بل هي دائمةَ النَّهي له اليوم وغدًا وبعد خمسين عامًا و مائة عام إلى أنْ يَشَاءَ الله فهي في حالة استمرار في النهي عن الفحشاء والمنكر لك ولغيرك.

(وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) لها تفسيران:

الأوَّل: أنَّها عطف على ﴿الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، يعني كما أنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإنَّ فيها ذكرَ الله تعالى، وذكر الله أكبر وأعظم منها.

الثاني: أنَّها عطف على﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ من باب عطف العام على الخاص، لفضل الصلاة وشرفها، وآثارها الجميلة المتمثّلة في نهيها عن الفحشاء و المنكر، والفحشاء: كلُّ ما اسْتُعْظِم من المعاصي الَّتي تشتهيها النُّفوس، والمنكر: كلُّ معصية تنكرها العقول والفطرة.

وَوَجْهُ كونِ الصَّلاة تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر، أي أنَّها بمثابةِ صَمَّام الأمان للإيمان، ذلك أنَّ العبد الْمُقيم لها، الْمُتَمِّم لأركانها وشروطها والمؤدِّي لها بخشوعٍ و خُضُوعٍ، يَسْتَنيرُ قلبه، ويَزْدَاد

إيمانُه، وتَقْوَى رغبتُه في الخير، وَتَقِلُّ أو تَنْعَدم رغبتُه في الشَّر بالمداومة والمحافظة عليها، فإنَّها ستُؤَثِّر فيهِ وتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وهذا من أعظم ثمراتها. وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشْتَمَلَت عليه من ذكر اللّه، بالقلبِ واللِّسان والبدن، فالصَّلاة فيها من عبوديات الجوارح كلِّها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

لماذا لا تُؤثِّرُ الصَّلاةَ فينا؟

يتبادر إلى ذهن كثير من الناس هذا السؤال إذا كانت الصّلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ،فلماذا نجد البعض يصلي ولكن صلاته لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر؟، فهناك ظالم يصلي، وسارق يصلي، وشارب للخمر يصلي، ومغتاب للناس يصلي، فصلاته لم تنهه عن شيء، فكيف يقول الله أن هذه الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والحال أنه لم تنه عن هذه الفواحش، فأداؤه للصّلاة و تركه لها سيّان.

ولكنّ هذا الكلام مردود عليه وهو غير صحيح والجواب عليه من عِدّة وجوه:

الوجه الأوّل: إنّ الانتهاء عن الفحشاء والمنكر مراتب، لنفترض أنّها تعادل مائة درجة، فالإنسان حين يلاحظ معاني الصلاة و يفكِّر فيها ويستحضرها ويقوم بشرائطها كاملة، فهذا تنهاه صلاته مثلاً عن ٧٠٪ من الفحشاء.

بينما إنسانٌ آخر لا يفعل ذلك لا تؤثر فيه هذه الصلاة التأثير الكامل وإنما تؤثر بمقدار ١٠٪، فهذا الإنسان الذي يرتكب على سبيل المثال ستين ذنبًا أو سبعين ذنبًا لو لم يكن يصلّي لكان يرتكب مئات الذنوب، فبهذا المقدار الذي يُصَلّيه، صَلاتُه نَهَتْهُ عن ١٠٪ أو عن ٢٠٪، ولو فرضنا نفس هذا الشخص لم يكن يصلي وكان يأتي بالفواحش و المنكرات بنسبة ١٠٠٪ فهذه الصلاة بالنسبة له أثرت فيه بنسبة ١٠٪. إذن طبيعة الصلاة أنَّها تنهى عن الفحشاء وتنهى عن المنكر، لكن ليس نهيا جبريا، وإنما بشكل اختياري طبيعي وتربوي وهذا ليس في الصلاة فقط، فنجد أن الله عز وجل يتعامل معنا بهذا المنظور أيضاً.

الوجه الثاني: إنَّ النقص في التأثير ليس عائدا للصَّلاة، فهي مؤثرة كما أسلفنا وليس في فاعليتها نقص، وإنَّما المشكلة والنقص هو في المستقبل، وبتعبير العلماء في (القابل) حيث يقولون إنَّ المشكلة ليست في فاعلية الفاعل وإنَّما المشكلة هي في قابلية القابل، تماما مثلما أنَّ مطر السَّماء ينزل فتصبح الأرض مخضرة، إلا أنَّ بعض البقاع السَّبخة لا يَحْدُث فيها شَيْءٌ مهمَا نزل عليها من المطر العذب، فليست المشكلة في المطر وإنما في خصوص هذه الأرض وملوحتها.

الوجه الثَّالث: إن التأثير ليس فوريًّا وإنَّما هو تراكميٌّ تدريجيٌّ، ولهذا نقول ليُصَلِّ هذا الإنسان حتَّى لو كان لديه بعض المعاصي والذنوب، ولهذا إذا رأيت إنساناً يصلي ويمارس بعض الفحشاء وبعض المنكر، لا تقل له إن صلاتك لا تنفعك ولا تفيدك والأفضل

لك أن تتركها ما دُمْتَ بهذا النحو، هذا غير صحيح، لأن الصلاة تؤثر فيه بشكل تراكمي إلى أن ينتج أثرها[1].

نَظْرَةٌ في دَوَاخِلِ الصَّلاة

تحتوي هذه الصَّلاة مضمونًا عقائديًّا إذا تَوَجَّه إليها الإنسان بكلِّ جَوَارِحِه، ففيها الإقرارُ بالشَّهادتين، ففي التشهد يقول المُصَلِّي: (أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ محمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه) كلَّ يوم، فالمصلِّي يكرّر الشَّهادة يومياً، وعندما تلتفتُ له -أعني التَّشَهد- تجد أنَّه ردٌّ على أمثال هؤلاء المغفلين الَّذين يتَّهمون غيرَهم بالشِّرك. فأنا كلّ يوم وفي كلِّ فريضةٍ أكرِّرها فهي عقيدتي وأنا أنشرها بين يدي الله عز وجلّ في كل يوم عدَّة مرات: (أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ محمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُه).

وقسم من هذه العقيدة تجده في سورة الفاتحة حيث إثبات المعاد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، فأنا عندما أحمدُ اللّه وأنه المالك ليوم الدين و يوم القيامة، فأنا أقرُّ بالمعاد وأنَّ هناك يومَ الدّين، وله مَالِكٌ ومُتَصَرِّفٌ فيه ومُهَيْمن عليه وأطلب من اللّه عز وجل خريطةَ في

---

(١) في بحار الأنوار ٧٩/ ١٩٨: روي أنَّ فتى من الأنصار كان يصلّي الصّلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش، فوُصِفَ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: إنَّ صلاته تنهاه يوماً ما، فلم يلبث أن تاب.

وعن جابر قال: قيل لرسول الله ﷺ: إنَّ فلاناً يصلّي بالنَّهار ويسرق بالليل، فقال: إنَّ صلاته لتردعه.

الحياة وهي ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ هذا كلُّه أنت تجعله في أجزاء العبادة وأجزاء الصَّلاة، أنت في كلّ يوم تقرُّ بعقائدك الدينية وتُذَكِّرُ نفسك بخريطتك العامّة الصّحيحة في الحياة من خلال الأذان والإقامة تارةً، ومن خلال الأذكار والأدعية تارةً أخرى، وتُجَسِّدُ خضوعك لله عزَّ وجلَّ، وعبادتك إيَّاه بأسمى تجسيد عندما تخضع له وتسجد له.

والسجود هو أقصى درجات الخضوع، فأنت تضع أشرف مواضعك و أعلاها على التراب تضرعاً وتقرباً إلى الله عز وجل ولذلك قال رسول الله ﷺ: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبّه وَهُو سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاء)[1]، وهذا نلاحظه في معنى الصلاة.

النَّظَافَةُ والنَّزَاهَةُ في مُقَدِّمَات الصَّلاة

لمقدّمات الصَّلاة أَثَرٌ على المستوى الحياتي للمسلمين فهي تُعَلّمُ المجتمع المسلم النَّزاهة والنَّظافة بحيث لا يُصْبِح هذا المجتمع قَذرًا أو وَسِخًا، فهذه الفرائض تُوْجِب النظافة للإنسان المسلم، فَأنت حين تُلاحظُ مثلاً غُسْلَ الجنابة أو غُسْلَ الحيض عند النّساء، تَجِدُ أنَّ الجنابة موضعها محدود ولكنّك لكي تتطهَّر تحتاج لأن تغسل كل هذا البدن، وكذلك الحيض أيضاً موضعه محدود، ولكن على المرأة لكي تكون طاهرة أن تغسل كل بدنها من شعرها ورقبتها أولاً ثم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤:١٦٧/ ٤٨٢، باب ٤٢، ووسائل الشيعة ٦/ ٣٣٧ بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام.

جسدها ثانياً، فمع أن الجنابة مكانها محدود ومع أن الحيض مكانه محدّد إلا أن الشارع المقدس جاء ليصنع مجتمعاً نظيفاً، فهذا الرجل أو هذه المرأة لابد أن يغتسلا بحيثُ يغسلان جميع بدنهما.

فلو فرضنا أنّه لم يكن تشريعُ غُسْلِ الجنابة موجوداً، و لا تشريعُ غُسْلِ الحيض فمن الممكن أَنْ تجِدَ إنسانًا طوال شهر كامل لا يغسل بدنه، ولكن مع هذا التشريع من المستحيل أن لا يفعل، فلابد للمرأة أن تغتسل ولو لغسل الحيض، وكذلك الرجل لابد أن يغتسل ولو لأجل الجنابة، وفي فلسفة ذلك نجد أنَّ غُسْلَ يوم الجمعة شُرِّعَ لأجل نظافة المجتمع المسلم، ففي الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كتابه (علل الشرائع) في (علة الإغتسال في يوم الجمعة) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كَانَتِ الأَنصارُ تَعْمَلُ في نَوَاضِحِها[1] وأَمْوَالها فإذا كَانَ يَوْمُ الجْمعة جَاؤوا فتَأَذَّى (النّاسُ)[2] بأرواح آبَاطِهِم وأَجْسَادِهِم فَأَمَرَهُم رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله بالغُسْلِ يَوْمَ الجمعة فَجَرَتْ بذلك السُّنة)[3]، فشُرّع مِنْ أجلِ ذلك حتَّى يتَنَظَّفَ المسلمون.

وعندما ننتقل للوضوء تلاحظ أنَّ الغَسْلَ فيه للأماكن الأقرب للاتساخ فتجد أنّك عندما تغسل أعضاءَك الخارجيَّة لا تغسل بطنَكَ مثلاً أو ظَهْرَك لأنها عادةً مغطاةٌ بالملابس، لكنَّ باقي الأعضاء كالوجهِ واليدينِ والقدمينِ عادةً تكون أكثرَ عُرضةً

---

(١) النواضح: الإبل التي يُستقى عليها الماء.

(٢) هذه الزيادة من كتاب مَن لا يحضره الفقيه، للشيخ الصّدُوق، ج١، ص١١٢.

(٣) علل الشرائع – الشيخ الصّدُوق، ج١، ص٢٨٥.

للاتساخ، فعملية الوضوء تنظيفٌ خارجيٌّ وتأثيرٌ داخليٌّ فهي تُعطي نَورانيَّة وتُرْسِلُ بأنوارها للسَّماء، عندنا في ذيل الآية المباركة ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:٢١].

أي أنّه يأتي في يوم القيامة فيُقال له: هذهِ مواضعُ وُضُوئِك لأنّه كان لا يتركها بغير وضوء على قدر الإمكان، لذلك نقول أنّ لهذه العمليّة آثارًا لا نراها رؤيا العين ولكن في ذلك العالم نراها أمامنا فيكشف الغطاء عن جانب من بصائرنا فنرى هؤلاء على نورانيّتهم وضِيائهم[1]. فهذه الصلاة تعطي الإنسان بالإضافة لنورانيَّته الداخلية، فإنّها تُعطيه نظافة ونزاهة خارجية.

---

(١) وللآية المباركة عدَّة تأويلات:

الأوَّل: ما رُوي في ميزان الحكمة ٤/ ٣٦٥٣، للريشهري عن رسول الله ﷺ: يحشر الله عز وجل أمتي يوم القيامة بين الأمم غُرّاً محجلين من آثار الوضوء، وعن الإمام الهادي عليه السلام: لمّا كلّم الله عزَّ وجلَّ موسى بن عمران عليه السلام قال: إلهي فما جزاءُ من أتمَّ الوضوء من خشيتك؟ قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ

الثاني: ومن تأويلاتها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتى يُنزلوهم منازل أهل الجنة».

الثالث: ومن تأويلاتها، أنَّ العمل الصالح الذي يعمله الإنسان يتصور له في يوم القيامة ويكون دليلاً له إلى الجنة.

النِّظام والعَدَالة في صلاة الجماعة

نجدُ أنَّ هذه الصَّلاة الّتي يُصلّيها المسلم في كُلّ يوم تُعَلّمُه النّظام والانضباط لاسيّما صلاة الجماعة، وعندنا -نحن الإماميَّة- صلاة الجماعة لها اشتراطات خاصَّة في الاتصال ولابد أن تكون الصُّفوف متصلةً متراصةً بدون حواجز وأنّه من غير الجائز ولا تصبح صلاة جماعة بدون اتصال، هذا الاتصال يصنع نظاماً فحين تَرَى كلّ الصُّفوف متصلة متراصة ليس بينها فرج أو حواجز ليس بينها خلل، هذا الاتصال يُعلّمنا النّظام في الحياة، ولكن في بعض الحالات تجدُ انفصالاً بين المصلي و سلوكه الخارجي، فهذا الإنسان الّذي بالمسجد هو نفسه خارج المسجد ولكن تصرّفه مختلف تماماً، فتجدُه في الصلاة ملتزمًا بالنّظام والصَّف ولكن تجده خارج المسجد يُغلق الطَّريق بسيارته على النَّاس ويعملُ حاجزاً يُعطِّل حركة الطَّريق، مع أنَّه من المفترض أنَّ هذه الصَّلاة التي خرج منها لتوّه قد عَلَّمَتْه النّظام والاحترام لنفسه والآخرين.

نجد أيضاً أنَّ الصَّلاة لاسيَّما صلاة الجماعة تعلّمنا قيمة العدالة، والعدالة عندنا -نحن الإماميَّة- من شروط إمام الجماعة، فأنا لا أُصلي خَلْفَ أحدٍ لا أَطْمَئِن لعدالته، على عكس باقي المذاهب الإسلاميَّة التي تقول صَلِّ وراءَ كلّ بَرٍّ وفَاجِر، فهؤلاء كانوا يُصَلُّون خلف الحجاج الثَّقفي القاتل السَّفاح وأمثاله، فإذا كَانَتْ صلاتك التي هي عنوانك عند الله عزَّ وجلّ صَارَتْ تَفِدُ على الله بواسطة الحجاج الثقفي وأمثاله، وأنت تعلم أنَّ إِمَامَك هو وَفْدُك إلى الله،

لذلك اشترطت الإماميَّة قضية العدالة لما لها من مركزيَّة مهمَّة تبدأ من صفات الله عز وجل للوصول إلى العدل، أي العدل الإلهي.

فالحكم عندنا أصله العدل وأنَّ الظالم لا ولاية له ولا يُقبل أمره حتَّى لو لم يُظهر كُفراً بواحاً، وحتَّى لو أظهر ظلماً فهو لا ولاية له، فصلاة الجماعة تعلّمنا أنَّ غير العادل لا يَسْتَحِقُّ أن يتقدَّم النَّاس في أربع ركعات، فكيف يكون واليًا عليهم وأميرًا على مَصَائِرهم أو أمينًا على أموالهم؟

مسؤوليتنا في إقامة الصّلاة

إنّ أهمّ مسؤوليّة تقعُ على عواتقنا - نحن المسلمين- ما ذكره الله في القرآن الكريم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ١٤].

فإذا كنت متمكّنا فعليك أن تسعى إلى إقامة الصلاة والدعوة إليها سواء كان ذلك في المدرسة، أو الشركة، أو المجتمع، وليكن شعارك الدَّعوة إليها، وليكن في المساجد لجان للدعوة إليها.

فكثيرٌ من المساجد فيها لجان خيريّة ودينيَّة لكن لا توجد فيها لجنة للصَّلاة، والمقصود من لجنة الصَّلاة أن تكون هناك جماعة يتحمَّلون جانب الدَّعوة إلى الصَّلاة، ويعمدون على إحيائها جماعةً مع جيران المسجد، مع الشباب في الأماكن العامة ذكورًا كانوا أو إناثًا، فالوصول لهؤلاء الشباب في عصرنا هذا أمر ضروري ومهم،

ولابد من مراعاة الطرق العصريّة الَّتي تجذب الشَّباب في الدعوة إلى الصَّلاة، ولهذا ينبغي لأهل المساجد وإداراتها أن يأخذوا موضوع الدعوة إلى الصَّلاة بعين الاعتبار وأن يبتكروا وسائل حديثة للدَّعوة إليها.

فمثلاً نحن عندما نريدُ الدعوة للصلاة من الطُّرق التي نسلكها نأتي بعالم من العلماء يلقي على أسماعنا محاضرة عن الصَّلاة وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع، ولكن في مثل هذا الزمن لا بدّ من ابتكار وسائل جديدة للدعوة إليها، مثلاً لو كان هناك لاعب معيَّن مشهور يعتبره الشباب قدوةً لهم حضر المسجد وصلَّى، وقمنا بتصويره وأرسلنا صورته وهو يصلّي للشباب فهذا يربط الشباب بالنجاح والبطولة مع الصلاة، لا يجعله يعتقد أن الصّلاة للمتخلفين وما شابه ذلك.

أو حين يحضر المسجد ممثل أو عالم شاب أو مخترعة شابة ويؤخذ لهم صورة وهم يصلّون فله تأثيره في نفوس هؤلاء الشباب، فلا يجدون أنَّ مثلهم الأعلى ذلك المغني أو تلك المتهتكة أو الخليعة، بل ترى الشّابة مثلاً أنَّ ما تراه قدوة لها ملتزمة بالحجاب محافظة على الصلاة فتدفعها هي الأخرى للالتزام بالحجاب والمحافظة على الصَّلاة لأنها ترى أنَّ تلك الَّتي وَصَلَتْ لمرحلة النُّبوغ والنَّجاح أيضا ملتزمة بالصَّلاة وأمثال ذلك كثير.

ولهذا نحن بحاجةٍ ماسَّة للابتكار في الدَّعوة للصلاة والإبلاغ عنها، بحيث تكون هناك لجان وجماعات في كلّ مسجد و في كلّ

حيّ للمحافظة عليها لأنّه لو تُرِكَتْ هكذا فمن الممكن أَنْ يَضْعُفَ خطُّ الصَّلاة.

تجلّيات البُعْد العبادي في الصَّلاة

مَنْ يتأمّل في سيرة النّبي ﷺ والأئمة من بعده الذين يجسدون المثل الأعلى في الالتزام الديني يَجِدُ أَنَّهم كانوا يُولون الصلاة عناية فائقة لإدراكهم الواعي والعميق لأبعادها وأسرارها وفضيلتها، وتفاعلهم معها وانفعالهم بها. فنجده ﷺ يقول لمُؤَذنه بلال: (يا بلال أقم الصلاة وأرحنا)[1].

وكذلك كان الإمام الحسين عليه السلام الَّذي قاتل في ميدان الحرب وضَحَّى بنفسه من أجلِ الصَّلاة الَّتي هي عمود الدين، نراه على الرَّغم من المعاناة التي كان يُقاسيها قد اسْتَمْهَلَ القومَ ليلة العاشر من محرّم كي يصلّي لله تعالى فيقول لأخيه أبي الفضل العبّاس: (ارْجع إليهم فإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ تُؤَخِّرَهم إلى غَدوة وتدفعَهم عنَّا العشية، لعلَّنا نُصَلّي لربنا اللّيلة وندعُوه ونستغفرُه، فهو يعلم أنّي قد كنتُ أُحِبُّ الصَّلاةَ له وتلاوةَ كتابه وكثرةَ الدُّعاء والاستغفار)[2]، فَرغم كلّ الظروف، نراه قد اهتمّ بإقامة الصَّلاة في ذلك الوقت العصيب

---

(١) المزي، تهذيب الكمال، ج٢٣، ص١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣:٣١٤، الإرشاد: ٢٣٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١:٣٤٩، الكامل في التاريخ ٢:٥٥٨، اللهوف: ٨٨، البداية والنهاية ٨:١٩٠، بحار الأنوار ٤٤:٣٩١، العوالم ١٧:٢٤٣، وقعة الطف: ١٩٣ مع اختلاف.

وفي ظهر عاشوراء عندما صاح أبو ثمامة الصيداوي مُذَكِّرًا بها وبوقتها، فجمع الحسين -عليه السَّلام- أصحابه وصلَّى بهم صلاة الخوف[1] وسهام الأعداء تنهال عليه بالرَّغم من استمهاله إيّاهم لإقامتها، فنجدُ أنّ الحسين عليه السلام الذي صلّى الظهر صلاة الخوف، كان أعداؤه يخافون من صلاته، لأنّهم وجدوا فيها سلاحًا لتأجيج المشاعر وصحوة الضَّمائر، لذلك حاولوا بشتَّى السُّبل أن يمنعوه من إقامة الصَّلاة، خصوصًا وأنَّه لم ينسَ أو يتناسَ الصَّلاة، حتّى في أحرج ساعاته اقتداءً بأبيه عليّ عليه السلام الذي لم يؤخّر صلاته المستحبة في أصعب ساعات الحرب، أي في ليلة الهرير يوم صفين[2] حيثُ صَفَّ قدميه لوجه الله مصلّياً، والحرب قائمة على قَدَم وسَاق من حوله، ولمَّا لاموه عليها، بَيَّنَ لهم أنَّ حربَه أساسًا كانت لإقامة الصَّلاة، التي تنهى عن المنكر والبغي، وكان ابنُه الحسين عليه السلام يسير على منواله.

هذا الثبات المنقطع النظير هو ثمرةٌ من ثمار الصَّلاة التي أذهلت

---

(١) في موضوع أن الإمام الحسين عليه السلام، هل صلّى يوم العاشر صلاة الخوف أو صلاة القصر نقاش، يحتاج تحقيقه إلى موضع غير هذا الموضع.

(٢) نقلت الحادثة بأنحاء متعددة: ففي موسوعة الإمام علي ١٩٦/٩ ناقلاً عن إرشاد القلوب يظهر منها أنَّ الحادثة كانت في الزوال ولترقب صلاة الظهر هكذا نقل في إرشاد القلوب كان علي عليه السلام يوماً في حرب صفين مشتغلاً بالحرب و القتال، وهو مع ذلك بين الصفين يرقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ فقال عليه السلام: أنظر إلى الزوال حتى نصلي، فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت صلاة؟! إنَّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصَّلاة، فقال عليه السلام: علامَ نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة، وفي نفس المصدر نقل أيضاً أنَّ علياً عليه السلام لم يترك صلاة الليل، حتى في ليلة الهرير في صفين.

أعداءه وأخافتهم و أرعبتهم، وبذلك أعطى الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ الأمةَ درساً في وجوب المحافظة على الصَّلاة، والإتيان بها في الشّدة والرَّخاء، في السّلم والحرب، في القوة والضَّعف، فهي لا تَسْقُط بحال.

وقد ورد في زيارة وارث يخاطب الزائرُ فيها الإمام الحسين بقوله: (أَشْهَدُ أَنَّك قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاة)، فالحسينُ ضحّى بكلّ غالٍ ونفيس من أجل الصلاة، فحين قدم علي بن الحسين ﴿عليه السلام﴾ وقد قُتِلَ الحسينُ بنُ علي ﴿عليهما السلام﴾ استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، وقال: يا عليُّ بن الحسين، مَنْ غَلَب؟ وهو مُغطّى رأسه، وهو في المحمل، فقال له عليُّ بن الحسين: إذا أردتَ أن تعلم مَنْ غلب، وَدَخَلَ وقت الصَّلاة، فأَذّن ثمَّ أَقِم(١).

فالإمام زينُ العابدين ﴿عليه السلام﴾ يؤكّد أنّ مادام الأذانُ باقيًا، وما دامت الإقامةُ باقيةً، وما دامت الصَّلاةُ باقيةً، فالمنتصر هو الحسين ﴿عليه السلام﴾ لأنّه ضحّى بنفسه وبذل دمه من أجل بقائها.

صَلواتٌ في كربلاء

حين نتأمَّل في واقعة كربلاء كربلاء رغم كثرة حوادثها إلا أنَّها سَجَّلَت لنا ثلاثَ صلواتٍ وكلّ منها تحملُ معنىً مختلفًا عن الأخرى.

الصّلاة الأولى: سجَّلت لنا كربلاء صلاةً مشتركةً بين جيش بني

---

(١) الآمالي للشيخ الطُّوسي، ص٦٧٧.

أمية بقيادة الحرّ الرّياحي ومعسكر الإمام الحسين بقيادته، حيث تلاقى الجيشان وحان وقت الصَّلاة نادى مُؤَذِّن الحسين، (فقال الحسين للحرّ: أتصلّي معنا، أو تصلّي بأصحابك وأصلّي بأصحابي؟ قال الحرّ :بل نصلّي جميعا بصلاتك، فتقدَّم الحسين، فصَلَّى بهم جميعا)[1].

كان الجميعُ مختلفين لكنَّ الصلاة وحَّدتهم، صلُّوا صلاةً موحَّدةً بإمامة الحسين في ذلك المكان، وهذه الصَّلاة سجَّلها ودوَّنها التَّأريخ لما لها من أبعاد مختلفة سياسيَّة ودينيَّة دنيويَّة و أخرويَّة.

الصلاة الثَّانية: هي صلاة الحسين عليه السلام بأصحابه فقط منفردين في يوم العاشر من محرّم ظهراً، نجد قبلها أنَّه في ليلة العاشر من محرّم أمر الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس أنْ يطلب من الجيش الأمويّ تأخير المعركة من ليلة عاشوراء إلى يومها وذلك للتَّفرغ للعبادة والصَّلاة والدُّعاء والاستغفار.

فقد ذكر العلامة المجلسي أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قال لأخيه العباس يوم التَّاسع من المحرّم: (ارْجع إليهم فإنْ اسْتَطَعْتَ أنْ تؤخِّرهم إلى غدٍ، وتدفَعهم عنَّا العشيَّة لعلَّنا نُصلِّي لربِّنا اللَّيلة وندعُوه ونستغفرُه، فهو يعلم أنّي قد كنتُ أحبُّ الصَّلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرةَ الدُّعاء والاستغفار)[2]، ونجده في ظهر العاشر من

(١) الأخبار الطوال للدينوري، ص٢٤٩.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٤، ص٣٩٢.

محرَّمٍ يطلب من أنصاره أَنْ يطلبوا من أعدائهم التوقف لأداء الصَّلاة بعد أَنْ ذكر أبو ثمامة الصَّائدي وقتَها فأجابه الحسينُ ودعا له، لقد أحبَّ أَنْ يلقى ربَّه وهو قد صَلَّى صلاتَه الأخيرة خلف سيّد شباب أهل الجنّة، فقد طلب منه أن يتقدَّم للصَّلاة، فقال له عليه السلام: (ذكرتَ الصَّلاة جعلك الله مِنَ المصلِّينَ الذَّاكرينَ نَعَم هَذا أَوَّلُ وَقْتِها)[1].

ففدّى الإمامَ بنفسه وجَعَلَ بدنَه دِرْعًا ليقيَ الإمام من سهام العدو إلى أَنْ أتمّ صَلاته، لقد أمرهم أَنْ يسألوا الأعداء بأَنْ يكفّوا حتّى يصلّيَ هو وأصحابه ولكنَّ الأعداء لم يفعلوا فصَلَّى الحسين بهم وما انتهى عليه السلام من صلاته حتَّى اسْتُشْهِدَ سعيد بن عبدالله الحنفي، الَّذي وَقَفَ دَريئةً للسّهام والسّيوف عن الحسين حال صلاته، حيث وُجِد على جسده الطَّاهر ثلاثة عشر سَهْمًا غير ضربات السّيوف وطعنات الرّماح، فكان أَوَّل من لُقّب ب (شهيد الصَّلاة).

لقد صَلَّى بهم الحسينُ تلك الصَّلاة في وقتٍ كانت السّهام تأتي إلى جهته هو وأصحابه، فقد كان حريصًا على أدائها حتَّى في أصعب الأوقات وأحلك الظّروف، والأعداء تهجم عليه من كلّ حَدبٍ وصَوب، والسّهام تنهالُ على جسده الطَّاهر، إلا أنّه كان لا يباليً بكلّ ذلك وهو واقفٌ بين يدي الله عز وجل.

الصلاة الثالثة: صلاةٌ بجانب الجسد المقطّع، ففي ليلة الحادي

---

(١) تاريخ الطبري ٣:٣٢٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢:١٧، وليس فيه الذاكرين، بحار الأنوار ٤٥:٢١، العوالم ١٧:٢٦٧، أعيان الشيعة ١:٦٠٦، وقعة الطف ٢٢٩.

عشر من محرم كربلاء تلملم أحزانها لنرى تجلّيات جديدة فهذه صلاة ثالثة سجَّلها التأريخ وهي صلاة اللَّيل الَّتي أدَّتها السَّيدة زينب عليها السلام في تلك اللّيلة الأليمة وهي ترى جسد الحسين المقطّع، إلا أنَّها لم تستطع أَنْ تصلّيها من قيام بسبب ما جرى عليها من الآلام والمصائب التي مرَّت بها، فصلَّتهاً من جلوس، فَقَد رُوي عن الإمام زين العابدين قوله: (ما رأيتُ عمَّتي تصلّي اللَّيل عن جلوسٍ إلا ليلة الحادي عشر).

وهنا أشيرُ إلى لفتة بسيطة ذكرها الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (مع بطلة كربلاء) حيث قال: (وأيّ شيء أدلّ على هذه الحقيقة من قيامها بين يدي الله للصَّلاة ليلة الحادي عشر من المحرم، ورجالُها بلا رؤوس على وجه الأرض تَسْفِي عليهم الرّياح، ومن حولها النّساء والأطفال في صياح وبكاءٍ ودهشةٍ وذهولٍ، وجيش العدو يُحيط بها من كلّ جانب.. إنَّ صلاتها في مثل هذه السَّاعة تماماً كصلاة جدّها رسولِ الله في المسجد الحرام، والمشركون من حوله يرشقونه بالحجارة، ويطرحون عليه رحم شاة وهو ساجد لله (عزَّ وعَلا)، وكصلاة أبيها أمير المؤمنين في قلب المعركة بصفين، وصلاة أخيها سيد الشهداء يوم العاشر والسّهام تنهالُ عليه كالسَّيل)[1].

وبذلك أعطى الإمام الحسين عليه السلام للأمة درسًا في وجوب المحافظة على الصَّلاة، والإتيان بها في الشّدة والرَّخاء، في السّر

---

(١) مع بطلة كربلاء، مغنية، ص٤٢.

والعلن، في السّلم والحرب، في القوة والضّعف، فالصَّلاة هي عمود الدّين الَّتي لا تُتْرَك بأيّ حالٍ من الأحوال.

الصّلاةَ عُرُوجُ الأرض إلى السّماء

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

تتحدّث الآية المباركة عن شرطٍ متى تَحَقَّق لزمت إقامة الصَّلاة، ومن هنا يتبيَّن أنَّه ليس المقصود منها الصَّلاة الفرديَّة الَّتي يقوم بها كلُّ إنسان، لأنَّ الصَّلاة الفرديَّة الَّتي تجب على كلِّ إنسان غير مشروطة بشرط التَّمكين في الأرض، فالصَّلاة تجب على كلّ مؤمن سواء مكَّناهم أولم نمكّنهم، وسواء كانوا حاكمين أو محكومين، غالبين أومغلوبين، قادرين أومستضعفين يجب على الجميع أنْ يصلُّوا في كلّ الأحوال .

من ذلك يتبين أنَّ الآية المباركة لا تتحدَّث عن الصَّلاة الفرديَّة، وإنَّما تتحدَّث عن إقامة الصَّلاة إمَّا بالأمرِ بالمعروف أو استخدام

السَّلطة التي لدى الإنسان والقدرة ونفوذ الأمر.

من هو الممكَّن؟ وماهو دوره؟

هناك مسؤوليةٌ كبرى تَقَعُ على الإنسان الّذي يُنَفَّذُ أمرُه ويُسْمَعُ قولُه في مكانٍ ما وهي أَنْ يسعى لإقامة الصلاة وليس أَنْ يصلّي فقط، فمثلا الأب يقول: أنا أصلّي في البيت و أولادي يروني وأنا أصلي وأهل بيتي أيضًا يروني، ماذا يتوجّب عليَّ أَنْ أفعل أكثر من ذلك؟، نقول له: أيُّها الأب العزيز وأنت في هذا المقام من الممكن لك ولكلمتك أَنْ يكون لها نفوذٌ بدرجةٍ من الدّرجات، فهنا تنطبق عليك الآية المباركة ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، أي: جعلوا الآخرين يقومون بها و يؤدُّونها، ليست القضية فقط أَنْ تصلي ولكن بالإضافة لذلك عليك مسؤولية توجيه الآخرين لإقامتها وأمرهم بالمعروف، هنا يُقال لك أيُّها الأب قوامتك في منزلك ينطبق عليك فيها التّمكين، ولذلك فمن مسؤوليتك (إقامة الصَّلاة) في هذا المنزل بمقدار ما تُقَدّم لأبنائك القدوة الحسنة في الاهتمام بالصَّلاة، وأمرهم بها.

وأنت أيُّها المدير للمدرسة في موضع سلطة فلو مَنَحْتَ عشر دقائق لإقامة الصَّلاة وأدائها لمن هُمْ تَحت كلمتك عند حلول وقتها هنا ينطبق عليك قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ لا سيّما وأنَّ القوانين في بلادنا تسمح بل تُلزم بوجود فترة للصَّلاة، لا تقل: لستُ معنيًا بالأمر أو تفكّر بأنَّك

إذا أعطيتَ عشر دقائق للصَّلاة ستصل لمنزلك متأخرًا، فإنَّ الثواب الَّذي تكسبه من خلال استفادتك من هذا الموقع للتَّشجيع على الصَّلاة وتهيئة مقدّماتها في مدرستك، هي من العظمة ما يتصاغر معه فائدة الوصول المبكر للمنزل.

وهكذا حالك لو كنت رئيس شركة، لا تفكّر بالحساب الاقتصادي، فتقول: عندي خمسون عاملاً إذا توقَّفوا عشرين دقيقة سأخسرُ كذا وكذا فهو وقت مهدر، هذا غيرُ صحيح فأنت المتمكّن ومَنْ تُعطي الأمر ويُسْمَع أمرُك وينفَّذ، فهنا أنت مِمَّن تنطبقُ عليه هذه الآية المباركة.

وقد أورد العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) في ذيل هذه الآية المباركة ما يلي: (نجد وصفاً للذين آمنوا المذكورين في أول الآية، من غير النظر إلى الأشخاص والمراد من تمكينهم في الأرض إقدارهم على اختيار ما يريدونه من نحو الحياة من غير مانع يمنعهم أو مزاحم يزاحمهم، يقول تعالى: إنَّ من صفتهم أنهم إن تمكنوا في الأرض وأعطوا الحرية في اختيار ما يستحبونه من نحو الحياة عقدوا مجتمعًا صالحًا تُقام فيه الصَّلاة وتُؤتى فيه الزكاة ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، وتخصيص الصَّلاة من بين الجهات العباديَّة والزكاة من بين الجهات الماليَّة بالذكر لكون كلٍّ منهما عُمْدَةٌ في بابها)[١].

(١) تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ج١٤، ص٣٨٦.

الصَّلاةُ مِيْراثُ الأنبياء

الصَّلاة هي القاسم المشترك بين الدّيانات السماويّة بدءًا من نبيّ الله إبراهيم ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم:٤٠]، فها هو يدعو ربَّه أن يجعله مِمَّن يُقيم الصَّلاة وأَنْ يَجْعَلَ ذريَّته أيضاً مقيمةً للصَّلاة وأن يتقبَّل الله دعاءَه.

ونبيُّ الله موسى يخاطبه عزَّ وجلَّ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧].

إن الناظر في هذه الآية يلحظ جهتين:

الأولى: البناء المعماري لهذه المنازل ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فقد قيل فيها إنها: ربما تكون مستقبلة الكعبة، وهذا التفسير فيه من المعنى الشيء العظيم، وقيل ولعلَّه الأقرب لسياق الآية: اجعلوا بيوتكم قبلة: يعني متقابلة بعضها يقابل بعضها، وبهذا تكون أشبه بالدائرة في دلالة على الاجتماع والالتئام.

الثانية: البناء الفكري و الديني فمن حيث الظاهر الهندسي تكون البيوت متقابلة، ولكن هذا لا يكفي بل يحتاج إلى مضمون (فكري وديني) يجسد حالة التوحد والتواصل الاجتماعي، ولن تجد كالصلاة في هذا، لذلك ربما عقبت الآية بالقول ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؛ يقول العلاَّمة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «التبَوِّي: أخذ المسكن والمنزل، ومصر بلد فرعون، والقبلة في الأصل: بناء

نوع من المصدر كجلسة، أي الحالة التي يحصل بها التقابل بين الشيء وغيره فهو مصدر بمعنى الفاعل أي: اجعلوا بيوتكم متقابلة يقابل بعضها بعضا وفي جهة واحدة وكان الغرض أن يتمكنا منهم بالتبليغ ويتمكنوا من إقامة الصلاة جماعة كما يدل عليه أو يشعر به قوله بعده: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) لوقوعه بعده.

والمعنى: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما مساكن من البيوت في مصر -وكأنهم لم يكونوا إلى ذاك الحين إلا كهيئة البدويين يعيشون في الفساطيط أو عيشة تشبهها- واجعلا أنتما وقومكما بيوتكم متقابلة وفي جهة واحدة يتصل بذلك بعضكم ببعض ليتماشى أمر التبليغ والمشاورة والاجتماع في الصلوات، وأقيموا الصلاة»[١].. هذا عن نبي الله موسى عليه السلام.

وأما نبي الله عيسى فإنه يقول: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:١٣]، ففيه إشارة إلى تشريع الصلاة والزكاة في شريعته، والصلاة هي التوجه العبادي الخاص إلى الله سبحانه وهذا هو الذي استقر عليه عرف القرآن كلما ذكر الصلاة[٢].

قال مولانا الصَّادق عليه السلام: «مَا أَعْلَمُ شَيْئاً بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ أَفْضَلَ مِنْ هَذِه الصَّلَاةِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ - عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَالَ:

....

(١) المصدر نفسه، ج١٠، ص١١٤.

(٢) تفسير المزيان، للعلامة الطباطبائي، ج١٤، ص٤٧.

﴿وأَوْصاني بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا﴾»(١).

وعنه عليه السلام -في تعداده لوصايا لقمان لابنه-: (فَوَعَظَ لقمانُ ابنَه بآثار ...لا تَصُمْ صَوْمًا يَمْنَعْكَ من الصَّلاة، فإنَّ الصَّلاةَ أَحَبُّ إلى الله من الصّيام)(٢).

أما نبينا محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم فإن الله عز وجل يخاطبه كثيراً بذكر الصلاة ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ، إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨].

ونجد أيضاً أنَّ نبيَّ الله داوود كان يُصَلّي قال الله عنه ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ، إِنَّهُ أَوَّابٌ، إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص:١٧-١٨]، أي أنَّ داوود كَانَ يُصَلي بانتظام في الصَّباح الباكر وهو وَقْتُ الإشراق ويُصَلّي بالعَشي، نفس الأوقات التي حثَّنا اللهُ عليها، فالصَّلاة واجبة لم تتغير.

وكذلك نبيّ الله زكريا فاللهُ أمره بالصَّلاة بالعَشي والإبكار ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران:٤١]، كما أمر

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٤ /١، الفقيه: ١/ ١٢٠/ ٦٣٤، التهذيب: ٢/ ٢٣٦/ ٩٣٢ إلى قوله: «أفضل من هذه الصلاة»، آمالي الطوسي: ٦٩٤/ ١٤٧٨ عن زرعة نحوه، والآية ٣١ من سورة مريم.

(٢) تفسير القمّي: ٢/ ١٦٤، ونقله جامع أحاديث الشيعة عن المجازات النبوية للشريف الرضي.

داوود وكما أمرنا نحنُ بالصَّلاة في هذه الأوقات.

فالصَّلاة من الشَّرائع التَّي وصَّى اللهُ بها جميعَ الأنبياء وظلَّ القرآن يُذكّر بالصَّلاة وبَيَّنَ الأوقات التي تُقام فيها تارةً، وأعطى تفصيلاً آخر لهذه الصَّلاة وجاءت آية أخرى تبيّن كلّ الحدود للصَّلاة، وإن اختلفت طريقةُ الصَّلاة إلا أنها في كلِّ الأديان واجبة ومفروضة.

الصَّلاةُ عمودُ الدّين

نلاحظُ أيضاً أنَّ الخطابات الموجّهة للنَّبي والمسلمين كثيرة في الصَّلاة وقد تضمَّن بعضها الإشارة إلى أنَّها خطّ مشترك بين الدّيانات والأنبياء، فعن الإمام الصَّادق: (أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ الصَّلَاةُ وهِيَ آخِرُ وَصَايَا الأَنْبِيَاءِ)[1].

وعلى مستوى الأنبياء والأوصياء لدينا أعلى مثل وهو شهيد المحراب أمير المؤمنين عليّ اسْتُشْهِد في محراب صلاته كأنَّه يريدُ تأكيد هذا المعنى فولادته كانت في جوف الكعبة و شهادته كانت في بيت الله عزَّ وجلَّ.

وعندما تُسلّطُ جانباً من الضّوء في سيرة صادق أهل البيت عليهم السلام نجده قد عمل شيئاً ملفتًا لنظر النّاس يدعو للتّفكر فيه مراراً وتكراراً لنكون على حَذَر، فعن أبي بصير قال: دَخَلْتُ على أمِّ حميدة –زوجة الإمام– أُعَزّيها بأبي عبد الله الصَّادق عليه السلام فَبَكَتْ وبَكَيْتُ لبكائِها ثمَّ

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٤/ ٢ عن زيد الشّحام، الفقيه: ١/ ٢١٠، دعائم الإسلام: ١/ ١٣٦.

قالتْ : يا أبا محمَّد لو رأيتَ أبا عبد الله عند الموت لرأيتَ عجبًا فَتَحَ عينيه ثمَّ قال: ﴿اجْمَعُوا كلَّ مَنْ بيني وبينَه قَرَابة﴾. قالتْ: فما تركنَا أحدًا إلا جَمعناه فنظرَ إليهم ثمّ قال: (إنَّ شَفَاعتَنا لا تَنَال مُسْتَخِفًّا بالصَّلاة)[1].

لاحظوا الكلمة الدقيقة ليس تاركاً للصَّلاة، فما بين العبد والكفر تركُ الصَّلاة، لكن المُسْتَخِف بالصَّلاة!! لماذا؟

لأنَّه يجعلُ الصَّلاةَ هيّنةً، كأنَّما يقولُ في نفسه من الآن إلى المغرب هناك مُتَّسعٌ من الوقت، فيُقَدّم كلَّ شيء على الصَّلاة، كلّ الأعمال في وقت الصَّلاة تُصْبِحُ مهمَّة وعليه إنجازها!!، فمن كان هذا حاله حق عليه القول: (شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة).

لاحظا أيضاً هذه الحادثة عن الإمام عليّ الرّضا ﵇ في مناظرته مع رئيس الصَّابئة، وهي من المناظرات المهمَّة التي جَرَتْ في مجلس المأمون، وفي هذا المناظرة أظهر الإمام حقائقَ إيمانيَّةً توحيديَّة، وبيّن الاعتقاد الصَّحيح في الله تعالى وعلَّمه بالأشياء وخَلْقه لها ووحدانيّته.

فأحضر المأمون جمعاً من النَّاس ومنهم عمران الصَّابئي الَّذي يُعَدُّ من أقوى علماءِ زمانه، حتَّى جاء الدَّور عليه فَطَالَ البحث بينهما طويلاً إلى قريب الظُّهر وإذا بصوتِ المؤذّن يرتفع، فالتفت الإمام الرضا ﵇ إلى المأمون فقال: الصَّلاة قد حَضرتْ، فقال عمران: يا سيّدي، لا تقطع عَليَّ مسألتي فقد رقَّ قلبي، فقال الإمام الرضا:

(١) وسائل الشيعة، ج٤، ص٢٧.

نُصلي ونعود، فنهض ونهض المأمون، فصلّى الإمام الرّضا داخلاً... فعَادَ الإمام الرضا إلى مجلسه ودعا بعمران، فقال: سل يا عمران وأكملا حتى أسلمَ عمران وخرّ ساجداً نحو القبلة(١).

لاحظوا عظمةَ هذا الموقف لمن يفهمُ تلك الأبعاد، هذا نداءُ الله وهذا رئيس دولة ومعه إمامنا الرضا وعلماء على قدر ومكانة، ورئيس فرقة كبيرة (ورسول الله يقول لعليٍّ: فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمرِ النعم)، هنا الإمام ترك كل ذلك وقام وذهب للصلاة ورجع وعمران كان موجوداً فأكملا الحوار وما كانت إلا ساعةً وهما في حوارهما إلا وعمران يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمّداً رسول الله.

لا ريبَ أنَّ لموقف الإمام الرضا عليه السلام في اهتمامه بالصَّلاة أثرًا كبيرًا، لربما جال في نفس عمران أنَّ هذا الإمام العالم أخذَ أمر دينه بجديّة فقد تركَ كلَّ شيءٍ واختار الصَّلاة ثم عاد ليكمل ما بدأ، وهكذا بالنسبة لباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام فهذا هو ديدنهم في الاهتمام بالصَّلاة.

ولهذا يجب علينا أن نعطي الصَّلاة الاهتمام اللائق بها والمناسب لما أحيطت بها من قبل الله من عظمة، ومن قِبَل أولياء الله بأهميّة بالغة، فالصَّلاة هي تلك الورقة التي إن قُبِلَت قُبل ما سِواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سِواها.

---

(١) عيون أخبار الرضا، للشيخ الصّدوق، ج٢، باب ١٢، ص١٥٠-١٧٠، ج١.

ومن هنا أنصح الإخوة والأخوات لا سيَّما الشَّباب، بقراءة كتاب قيّم للشَّيخ محسن قراءتي بعنوان (الدّعوة إلى الصّلاة) يشبّه فيه الصَّلاة بمثال عُرفي يقول: الآن أنت تقودُ سيارتك يستوقفُك رجلُ المرور يطلبُ أوراقَك تُعطيه بطاقة اعتماد بها مليون دولار مثلاً، يقول لك أعتذر أنا لا أقبلها، تُعطيه باقي الأوراق والبطاقات لكنَّها لا تفيد، الَّتي تفيد فقط هي رخصة القيادة، الصَّلاة كذلك إذا صلَّيتَ صلاةً تامَّة كاملة تفيدك بأنَّه ترفعُ أعمالك وتقبل ما سواها، أمَّا إذا لم تقدمها لا ينظر في باقي الأمور، وعندنا شيءٌ آخر وهو الولاية لآل محمَّد عليه وعليهم الصلاة والسلام، الصلاة كما هي بوابة للجنة فهي أول شيء يعطيك الصلاحية للدخول إليها، وهي أول شيء يوصل تركها لسقر قال تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤١-٤٣].

لاحظوا معي سقر مختلفة عن لظى، مختلفة عن جهنم، فكلّ قسم من أعمالنا وذنوبنا تُوصلنا لمكانٍ معيَّن نستجيرُ بالله تعالى منهم جميعاً، فكما أنَّ الجنة درجات متعاليات أيضاً النَّار درجات متسافلات.

وإنَّ أول سبب يمنعك من دخول الجنة هو ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ولهذا ينبغي للإنسان إذا كانت له القدرة والقابلية والتمكين أن يسعى في إقامة الصّلاة ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

تأمّلات في أفعال الصَّلاة

للصّلاة راحة نفسيَّة تُريح الإنسان من متاعب هذه الدنيا وآلامها، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يتوجَّه للمكان المناسب ليريحَ نفسه من الداخل إنَّها الروح والبلسم للقلب المتعب عند توجهه للإمكانيات الموجودة في الصلاة، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقول لمؤذّنه بلال: (أرحنا بالصَّلاة يا بلال)... إن أول ما نلاحظه في الصلاة النيَّة –ويعبّر عنها القرآن بقوله ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، هي القصد إلى الفعل بعنوان الامتثال والقربة، بل اجعل لك نيَّة حتَّى في أكلك وشربك وعملك ومعاشك ومعادك لله، وسائر عباداتك وأعمالك وأفعالك ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً، وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨]، لوّن حياتك بصبغة الله بالنيَّة الإلهيَّة ولها أثر عظيم عليك، كيف ذلك؟!

للنيَّة الصَّالحة أثرٌ في جعل العمل عباديًّا، وفي زيادة الثَّواب، بل في بعض الحالات للنيَّة الصّالحة أثرٌ في ترميم النَّقص الظَّاهري الموجود في العمل العبادي، فقد يكون العملُ بظاهره ناقصًا ولكنَّ الشَّرع يجعلُه تامًّا بسبب النيَّة الصَّالحة لصاحبه، وربما يكون هذا أحد معاني قول رسول الله ﷺ في بلال الحبشي، حيث إنَّ بلال إذا قال له رسول الله: أَذِّنْ، سَخِرَ منه بعضُ النَّاس لأنَّ لسانه لا ينطق الشين، لكونه حبشيًّا غير فصيح، فكان يقول ﷺ: (إنَّ سينَ بلال

عند الله شين)[1].

في مقابل النيَّة الصالحة ذات الآثار الحميدة، نجد النية السيّئة ذات الآثار الوخيمة فهي أشبه بعود ثقاب يُحرقُ العمل، أو فيروس يُسقط الجسم النَّشيط، فكما أنَّ الحرائق الَّتي تَحدثُ في الغابات مثلاً ربما تكون من عود ثقاب صغير ولكنَّها تُحرق مساحات كبيرة، والفايروس الذي لا يُرى بالعين المجرّدة يُفسد البدن ويطيح بالإنسان على فراش المرض، هكذا هي النية السيّئة مهما صغرت فهذا دورها.

قصّة

وليتضح المعنى ويقرب أكثر أذكر هذه القصَّة، يقال إنّ بهلولاً كان فقيهاً في زمان الإمام الكاظم عليه السلام وتَظَاهرَ بالجنون حتَّى لا يُبتلى في إيمانه ولا يُبتلى بمنصب القضاء عند هارون الرشيد ومن خلال تظاهره بالجنون استطاع أن يقومَ بدورٍ كبير أفضل ممَّا كان لو تصرَّف بشكل عاقل وطبيعي فكَانَ واعظاً لهارون الرشيد.

حيث قيل إنّه في أحد الأيام بنى هارون مسجداً ووضع عليه لافتة كتب فيها: (هذا ما بناهُ الخليفةُ الصَّالح أمير المؤمنين هارون الرشيد العباسيّ)، فقام البهلول وأزالَ اسم هارون وكتب مكانه

---

(١) عدّة الدّاعي ونجاح الساحي: ٢١ لابن فهد الحلي، ونقله عنه في مستدرك الوسائل، وأمّا في مدرسة الخلفاء فقد قال ابن قدامة في المغني ٢/ ٩٠: روي أنَّ بلالاً كان يقول «أسهد» يجعل الشين سيناً، وقد ضعّف سائر المؤلفين منهم هذا النقل.

بالفحم (هذا ما بناهُ العبد الصَّالح بهلول).

رأى الناس ما حدث، فرُفِعَ أمرُه للخليفة فسأله لماذا فعلت ما فعلت يا بهلول؟ فقال البهلول له: هل بنيتَه لله أو للنَّاس؟! قال: لله، فقال له: اللهُ يعلم بالنيَّات ولكن أنت بنيتَه للنَّاس ولذلك سألتني عن فعلي هذا.

هل الصّدقة العلنيَّة محمودة؟

نعم في بعض الأحيان تكون الصَّدقة العلنيَّة مطلوبةً فقد نوّع القرآن الكريم أصناف المنفقين فقال ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤]، فربما كانَ إعلانُ الصَّدقة مطلوباً ومندوباً بل حتَّى التَّظاهر بفعل الخير لتشجيع الآخرين خصوصاً لو كانت نيتُه لله، وأحبَّ أن يكون للنَّاس مثالاً ليقتدوا به ويسلكوا مسلكه.

وعندما نتحدث عن النية في الصلاة فلا نقصد بها التلفظ بالنية، إذ لا داعي لقول إني نويت أن أصلي صلاة كذا قربةً لله، إنما تعقدها في قلبك خالصة لله عز وجل.

التّكبير

بعد النية يأتي التكبير، ومن جملة ما أحصاه الشيخ قراءتي أن في الصلوات وأطرافها ثلاث مائة وستين تكبيرة خلال الخمس صلوات في اليوم والليلة وبتسبيحة الزهراء يومياً التي أنت ملتزم

بها، ومن غريب المصادفة أن عدد الأصنام التي كانت حول الكعبة ثلاث مائة وستون أيضاً، كأن في مقابل كل صنم الله أكبر، مقابل كل سيئة الله أكبر، مقابل كل وهم وضعف أنت تقول الله أكبر تكبره وتنزهه عن كل نقص وعيب وأنّه الأكبر من كل وصف، إنها المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد.

وقفةٌ مع فاتحة الكتاب

سورة الفاتحة التي نقرأها في كلّ صلاة حين نتأملها نجدها قسمين:

القِسْم الأوّل: لله عز وجل و هذا القسم يحتوي على أسماء الله الحسنى، فبداية الفاتحة مربوطة بالله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١-٤].

القِسْم الثاني: قسم للعبد وفيه استعانة وعبادة وطلب هِداية من الله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٥-٧].

فتركيز العبد على هدايته للصراط المستقيم لأنّه منهج حياة وهو طريق الاعتدال والتوازن و الاستقامة، ففي العقائد لا غلو ولا تقصير، وفي الحياة الشخصية أيضا ينبغي على العبد الاعتدال

والتوسط كالأكل والشرب وما شابه ذلك ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]. كذلك في الإنفاق والعطاء الاعتدال والتوسط ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩].

أهميّة صلاة الجماعة

لا يخفى على أحدٍ أنَّ الصلاة حضور يومي للمؤمنين و اجتماعهم في مكانٍ واحد من دون بطاقة دعوة، و من دون تشريفات أو مقامات، لو أردتَ أن تدعوَ أحدًا لمناسبة شخصيّة فإنَّك تحتاجُ لبطاقات دعوة ومصاريف و مراعاة لمقامات بعض النَّاس وغير ذلك، لكنَّ صلاة الجماعة لا تحتاج أيًّا من ذلك فهي اجتماع يوميّ طبيعي يحقق التلاحم بين المؤمنين، و هنا تكمن أهميتها.

وهي تُعوِّد النَّاس على القيادة العادلة، سواء كانت القيادة على مستوى الجماعة أوعلى مستوى الحكم، حيث إنَّ المعروف عندنا في مذهب أهل البيت عليهم السلام أنَّ صلاة الجماعة لا يؤمُّ فيها النَّاس إلا مَنْ عُرِفَ بينهم بالعدالة، فإذا لم يكن عادلاً لا يُصَلَّى خلفه، وهذا معناه أنَّ قيمة العدالة من متطلبات الجماعة، ففي الرّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إمامُ القوم وافِدُهُم فقدِّموا أفضلكم»[١].

---

(١) وسائل الشيعة، للحر العاملي، ج٨، ص٣٤٧.

فتكريس الجماعة والتلاحم، وإمامة العادل، ترتفع من أدنى مرتبة إلى أعلى قمّة سياسية هذا ما تحقّقه فكرة صلاة الجماعة، بل وتُعوّد النّاس مع -الالتفات إلى أحكامها- على التَّصحيح والمراقبة للإمام والقائد من جهة، ومن جهة أخرى تُعوّد القائد على الرّجوع إلى الرّعية والمأمومين مع شكّه وجهله.. هذا مع عدالته.

فمن أحكام الجماعة أنَّ الإمامَ لو شَكَّ أو سَهَا عن الوظيفة كما لو قام في غير موضع القيام فإنَّ من خلفه من المأمومين يُصَحّحُ له، ولو شَكَّ في العمل الذي ينبغي أنْ يعملَه فإنَّ المأموم يحفظ عليه وعلى الإمام أن يُتابع المأموم إذا كان المأموم حافظا وكان الإمام شَاكًّا.

وهذا فيه معنى وهو أنَّ الرعيةَ تُصَحّح للقائد لو أخطأ أو تجاوز والعكس كذلك، وبهذا يحافظُ القائد على سلامة خطّ الرّعية، وفيها من التَّرتيب والتَّنظيم وترتيب الصفوف ما يدخل مع أمور الحياة، وفيها قابلية التّعليم على النّظام والانسجام، ولكن للأسف إنَّ قسماً من النَّاس لا يلتفتون إلى هذه المعاني فلا تؤدِّي الصَّلاة كامل دورها في أنفسهم.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا

يلحظُ الإنسانُ المتأمّل في هذه العبادة ضمن الدَّائرة الإسلاميَّة أنَّها تلتقي مع الإنسان في أوَّل يوم ينشأ فيه وتُشَيّعه إلى آخر يوم يُوَدّع فيه الدنيا قبل أن يُقْبَر في التَّراب، وهذا أمرٌ لا نلحظه في أيّ عبادة أخرى.

وذلك أنَّ من المستحبات المؤكَّدة عندنا كمسلمين عموما -كما تقدَّم الإشارة إليه- أَنْ يُؤَذَّن في الأذن اليمنى ويُقَام في اليسرى للمولود عند ولادته وقد قام النبي محمد ﷺ بذلك مع الحسنين عليهما السلام[1].

فمن وصايا النَّبي ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «يا عليُّ إذا وُلِدَ لك غُلامٌ أو

---

(١) شرح إحقاق الحق، ج١١/ ٢٦٠.

جاريةٌ فأذِّن في أُذُنِه اليمنى وأَقِمْ في اليسرى، فإنَّه لا يضرُّه الشيطان أبدا»[١].

وفي كتاب الجعفريَّات بسنده عن رسول الله ﷺ قال: مَنْ وُلِدَ له مولودٌ فلْيُؤَذِّن في أُذُنِه اليمنى بأذان الصَّلاة وليُقِمْ في اليسرى فإنَّ ذلك عِصْمَة من الشّيطان والإفزاع له. وقريب منه[٢].

الأذان كما تعلمون هو دعوة للصَّلاة تَمَيَّز بها الإسلام حيث لا تحتاجُ إلى أداة ولا إلى جماعة وفي نفس الوقت تُلخّص جملةَ عقائد الإنسان والقيم الدّينية بدءًا من توحيد الله إلى الاعتراف بنبوَّة رسول الله ﷺ.

وعندنا كإماميَّة الاعتراف بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ثمَّ الدَّعوة إلى الحياة الحسنة والفعل الصالح والعمل الخيِّر والدَّعوة إلى نفس الصَّلاة حيَّ على الصّلاة، والدّعوة إلى كلّ ما يُوجِب الفلاح حيَّ على الفلاح، بالإضافة إلى الأعمال الصَّالحة والخيّرة حيَّ على خير العمل، لكن كل هذه الشّعارات هي دعوة إلى الصَّلاة ومناداة لها.

فأوَّل دعوة يتلقَّاها هذا الإنسان في إطلالته على الحياة هي الدَّعوة إلى الصَّلاة، مع أنَّه إلى الآن لم يُدرك شيئًا ولكن كأنَّما أُريد أن تُوْضَع هذه الصَّفحة كملفّ ثابت في صفحةٍ بيضاء إلى المستقبل وإلى آخر يوم بعد أن تخرج روحه من بدنه، وبعدها لا يُشيَّع معه

(١) تحف العقول، ج١/ ١٣.

(٢) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج١، ص٩٥.

حجٌّ ولا زكاة ولا صيام وإنَّما آخر ما يُعْمَل له أن يُصَلَّى عليه وبين هذين الحَدَّين من البدء إلى الختام من تغيَّرات الطَّبيعة من الأيام العادية إلى الأيّام غير العادية لا شيء يرافقه كمرافقة الصَّلاة.

كلّ الرّسالات جاءت بالصَّلاة

اليوم الذي يعيشه الإنسان في حياته له ثلاثة أقسام يبدأبطلوع الفجر، وينتصف ظهراً بزوال الشمس، و ينتهي بغروب الشمس، في هذه الأوقات جُعِلَت العبادة والصَّلاة مُرافقة لكلِّ انتقالةٍ و تغيُّرٍ في الطبَّيعة وفي اليوم الذي يطويه الإنسان.

أحياناً تتغيَّر الطَّبيعة و يَحْدُث خُسوف أو كُسوف أو رياح أو زلازل أو غير ذلك لا يلجأ الإنسان في هذه التغيُّرات الطَّبيعيّة إلا إلى الصلاة، إذا فُقِدَ المطر يُلجَأ للصَّلاة، فَرح الإنسان بقدوم العيد يعبّر عن فرحه بالصَّلاة.

لذا تجدُ هذه العبادة في مختلف الحالات في الطَّبيعة وتغيّرها هي العبادة المرافقة ليست للإنسان فقط بل أنت تُشارك جميع الخلق في تسبيحك لله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة:١].

أنتَ في هذه الصَّلاة بتكرارك للتَّسبيح والتَّقديس والتَّنزيه لله -عزَّ وجلَّ- تُشَارك كلَّ الكائنات والمجرَّات والحيوانات في هذه العبادة التي أتى بها الأنبياء جميعاً، فما من نبيّ جاء إلا وهو يأمرُ بالصَّلاة ولكن تختلفُ الكيفيات.

الصَّلاة جاء بها عيسى ويحيى وإبراهيم وموسى وسائر الأنبياء ﷺ باعتبار أنَّ الصِّلة الَّتي جُعِلَت بين الله والخلق هي الصَّلاة، فإذا أراد نبيٌّ -كنبيِّ الله إبراهيم ﷺ وهو شيخ الأنبياء ووالد المرسلين- أَنْ يدعوَ الله عزَّ وجلَّ بماذا يبدأ قوله ؟! يبدأ بالصّلاة قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم:٤٠].

الصّلاة مفترق طريق

جُعِلَت الصَّلاة طريقًا للفلاح والجنة، وجُعِلَ تركُها سبيلَ المسلك في سَقَر، فمن جهة الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

أي: ليسوا مصلِّين فقط وإنَّما يصلُّون وبخشوع.

ومن جهة التَّسليك في سَقَر قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٨].

أي: سبب دخولهم لسَقَر -وهو درك من دركات جهنم والعياذ بالله منها- أنهَّم ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، فالصَّلاة هي التي تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، ومنشأُ ارتكابهم للفواحش وللمنكرات من البغي والظلم والزنا والسَّرقة وغيرها هو أنَّهم لم يكونوا من المصلِّين، وإلا لو كانوا من المصلِّين لنهتهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر.

مُبرِّرات خاطئة في التَّهاون بالصَّلاة

هذه العبادة العظيمة وهذه الصّلة الاستثنائيَّة التي جُعِلَت لاتصال العبد بربّه قد يُقال إنّه في بعض المجتمعات الإسلاميَّة يُوجَد قلَّة اهتمام بها عند بعض النَّاس وهذه النّسب الّتي تُذكر وإن كانت ليست كثيرة وكبيرة من جهة، ولا يمكن التَّحقق منها بشكل علميّ إلا أنَّه لا ينبغي الفرار منها والسّكوت عنها ،إنَّما ينبغي التَّفكير في تقليلها إلى أدنى نسبة ودرجة ممكنة، ذلك أنَّ بعض الأشياء مهما كانت قليلة فهي كثيرة، فإنَّ عود الكبريت –مثلا– في طوله لا يتجاوز سانتيمترات قليلة وعند اشتعاله فشُعْلتُه بسيطة لكن يستطيعُ أن يعمل كارثةً كبيرةً ويُحْرِق بنايةً كبيرة ومزرعة واسعة، فبعض الأشياء قليلها كثير وقلة الاهتمام بالصَّلاة في مجتمع مسلم وإن كانت قليلة فإنها تعتبر كثيرة وكبيرة.

ولو نظرنا لوجدنا أنَّ هناك بعض الأمور التي تُساق أحيانا كمبرّرات للتَّهاون في الصَّلاة وعدم الإقبال عليها كما ينبغي، نلقي نظرة إجماليّة عليها: بعض المتهاونين بقضية الصلاة قد يثيرون سؤالاً وهو: ماذا نستفيد من الصلاة؟، أنا أريد أن أصلّي ولكنني لا أشعر بفائدتها لذا لا ألتزم بها ولا أشعر بها تماماً.

ماذا نستفيد من الصلاة؟

هنا في مقام الجواب على هذا السؤال نقول: ينبغي التفريق بين قسمين من الناس:

القسم الأوّل: الذي لا يعترف بالصلاة و لا بها بعدها، فينظر إلى الصّلاة على أنّها قضيّة دينيّة مرتبطة بالإيمان بالله، فهي لا تشكّل بالنّسبة له ذات أولوية وذات أهمية، فهي ليست من دائرة اهتماماته حتّى لا نقول عنه ملحد وما شابه ذلك، هذا الشّخص وأمثاله حديثنا ليس له، إنما حديثنا موجه إلى القسم الثاني.

القسم الثاني: الذي يعتقد بالرؤيّة الدينية عموماً ولكن نجده متهاونًا بها أي: يتركها أحيانا أو هو تاركٌ لها بالفعل، حديثنا موجّه إلى هذا الشخص وأمثاله، فنقول له:

أولاً: إذا اعتقد الإنسانُ بربوبية الله وخالقيَّته و منعميّته وهو المولى الحقيقيّ وأنَّه عبدٌ من عبيده فهذا لا يصحُّ له أن يسأل عن الفائدة، ولا يصحُّ له أن يشترط عليه الفائدة والنّفع منها، فهذا ليس من قانون العبوديَّة.

فلو نظرنا إلى المولى العُرفيّ في زمن العبيد والأرقّاء نجد أنَّ السَّيد المَالك للعبد لو أمره أن يحفرَ بئراً بقياساتٍ معيَّنة فعليه التَّنفيذ ولا يحقّ له أن يسأل: ما الفائدة من هذا؟ وما هي المنفعة من حفره؟، ولو سأل لَقِيْل له: هذا ليس من رسم العبوديَّة مادُمتَ تعرف أنَّك عبدٌ ليس بالضَّرورة أن تقف على الفائدة من العمل، هذا بالنسبة للمولى العُرفي فما بالك بالمولى الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: الآثار الأخرويَّة والدُّنيويَّة المترتبة على الصَّلاة مع أنّ الله لم يكن مطالبا ببيانها للعبد المصلّي، ولا يحق له -أي: العبد- في مقام

العبودية الاشتراط، ومع ذلك جعل الله لهذا الإنسان فوائد من هذه العبادة، وجعل لها آثارًا في الآخرة وآثارًا في الدنيا.

الآثار الأخرويَّة للصّلاة أن أداءَها مسلَك العبد إلى الجنة، ولهذا رُبط بين الجنة والصَّلاة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وتركها مسلك العبد لسَقَر، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٣]، فمن كان يصلي وفر لنفسه إمكانية دخول الجنة ومن لم يفعل ختم على نفسه أنه من أهل النار.

وأمّا الآثار الدّنيويّة للصَّلاة فلا تعدّ، ذَكرتها الكثير من الدّراسات أنّ للصّلاة أثرًا على روح الإنسان ونفسه، فنجده حين يصلّي أكثر هدوءًا واطمئناناً، أحسن من نظيره الذي لم يصلّ، ولقائلٍ أن يقول: هناك مرضى نفسيّون يصلّون ولا نجدُهم قد حصل لهم تغيّر، نقول له: لو لم يصلِّ لكان وضعه أسوأَ عشرة أضعاف من وضعه الحالي، لأنّ فيها ذكرَ الله عزّ وجلّ هدَّأتْ نفسه ولو قليلاً ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، ثمّ إنّ التغيّر الذي يحصل عليه الإنسان من الصّلاة تراكميٌّ قد لا تلحظه بشكل مُلفت، فالتغيّر من وراء الصّلاة ليست ضغطة زر بالأمس كنتَ غَضُوبًا واليوم تصبح حليماً، إنَّما الأمور تراكميَّة وتدريجيَّة، فالصَّلاة تُغيّر كلَّ يوم فيك درجة، وعادة يكون التَّغيُّر غير محسوس كظهور الشَّيب في الشعر كلّ يوم تظهر شعرةً بيضاء تدريجيًّا فلا تلحظها عكس من يفتقدك مدَّة فيتفاجأ بأنك قد ملئتَ شيباً ويتساءل ما حدث لك!

فالفرق أنك هنا قد تراقب نفسك بشكل تدريجي ويومي والتغير التدريجي قد لا يكون ملحوظًا، فآثار الصَّلاة على النَّفس وعلى الأخلاق والروح كثيرة قد لا يستشعرها الإنسان لكونها تدريجية، إضافةً إلى الآثار البدنيَّة المترتبة على الصَّلاة فتحريك البدن في هذه الركعات كأنَّها تمارين ولكنّها عباديَّة، ولقد كتب الكثيرُ من الأطباء وأخصائيُّو العلاج الطَّبيعي وغيرهم، عن الحركات الصَّلاتية وفوائدها للجسم بأجهزته المختلفة[١].

---

(١) من ذلك ما ذكره رنيم شاكر أبو الشامات في مقال، ملخصه: أن حركة القيام والتكبير مع تكرارها يعتبر كافياً بل مناسباً جداً لتحريك وتنشيط مجموعات العضلات والأربطة المضادة لعمل الجاذبية الأرضية، والمحافظة على سلامة اعتدال القوام، بالإضافة إلى أن حركات الذراعين أثناء حركات التكبير تساعد كثيراً في الاحتفاظ بالحدّ الأدنى من درجة مرونة مفاصل الكتفين والمرفقين واليدين، فتكون بمثابة تمرينات وقائية من الإصابة بالتصلب المفصلي، وأما الركوع، فإنّ عملية انقباض وثبات عمل المجموعات العضلية العاملة في اتخاذ وضع الركوع ومقاومتها لقوة الجاذبية الأرضية تساعد كثيراً في تنمية وتطوير النغمة العضلية، ومع ثبات وإطالة وضع الركوع تحدث استطالة للألياف العضلية خلف الساقين، وفي نفس الوقت اتزان في درجة انقباض عضلات الفخذ الأمامية والخلفية مما يؤدي ذلك إلى الوقاية من الإصابة بتمزق تلك العضلات أثناء قيامنا بمتطلبات الأعمال اليومية الاعتيادية، كما أنَّ الركوع يساعد في زيادة مرونة وتقوية الأربطة والعضلات على طول امتداد العمود الفقري، فتقلّ فرص الإصابة بأوجاع الظهر والانزلاق الغضروفي والتهابات عصب النساء، كما ويعتبر وضع الركوع مناسباً تماماً لزيادة معدل التهوية الرئوية والتخلص من الإفرازات الزائدة والضارة بالجهاز التنفسي، وأيضاً فإنَّ احتفاظ عضلات العنق بثبات الوضع الأفقي للرأس طوال فترة الركوع لها أهمية خاصة في عودة الدماء الوريدية نحو القلب، ومن الثابت طبياً أن وضع الركوع ينشط عمل المضخة الوريدية بالبطن إلى أقصى درجة ممكنة، وكذلك الضغط الواقع على المنطقة أسفل البطن يؤدي إلى زيادة سهولة حركة دفع الدماء من الخلف إلى الأمام ناحية القلب، وأما=

وقد قرأتُ ذات مرَّة لأحد الأطباء الأجانب عن علاجات لأمراض السَّرطان تُستَعْمَل الصَّلاة -وقد لا تكون بالنحو الذي نقوم به، ولكن أصل الفكرة هي نفسها- ولعلها تعتمد على تقوية النفس بحيث يصبح بدنُ الإنسان أقوى في مواجهة المرض، بالطبع هذا لا يعني أنَّه لا يوجد مصلَّون ومع ذلك هم مصابون بالمرض!!

وأما آثارها الأخلاقيَّة والسلوكيَّة فإنَّ القرآن الكريم يُصَرِّح بشكلٍ واضح أنَّ الصَّلاة تُغيِّر في سلوكيات الإنسان ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]، والملاحظ في الآية المباركة أنَّ صيغتَها بنحو التَّعليل، فهناك أمرٌ وهو ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾..لماذا؟ إنَّ الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، يعني أنَّ الصّلاة لها قابلية ذلك مثلما أنَّ حبة الكونكور لها قابلية تخفيض الضَّغط لكن لو قمتَ بتناول ملعقتي ملح، فإنك تمنعُ مفعولها، كذلك الصَّلاة أيضاً لها قابلية النهي عن الفحشاء والمنكر، هذه

....

=السجود: فهو بمثابة تمرينات يومية للوقاية والعلاج من أوجاع المفاصل والانزلاق الغضروفي والتهابات عصب النسا وتصلب الكتف والآلام الروماتزمية، ولوضعية السجود تأثيرات على نشاط الدورة الدموية، لأنها في هذا الوضع تعمل باتجاه الجاذبية الأرضية الذي حرمت منه نتيجة لاستمرار اتخاذ الإنسان لوضع الانتصاب الرأسي معظم فترات اليوم، وبذلك يتدفق سير الدّم في سهولة من أعلى إلى أسفل في وضع السجود؛ إلى آخر ما كتبه في هذا المقال وهو كثير التفاصيل، أحببنا الإشارة إلى خلاصة منه.

http://www.utopia-gate.com/201603/utopain-body-prayer.html

إطلالةٌ سريعة على بعض آثار الصَّلاة، و ماهي إلا قطرةٌ من بحر.

لا تَترُك الصَّلاة ولو كُنْتَ مُذْنِبًا

قد يقول البعض: لديَّ انحرافاتٌ وعلاقاتٌ غيرُ مشروعة، فقد يقول شابٌ: أنا لديّ علاقات غير مشروعة مع فتيات، أو أنا ألعب القمار، أو تقول فتاة: لي علاقات غير مشروعة مع شباب، أو لا مشكلة عندي في أكل المشتبه بل حتَّى الحرام، وهذه لا تجتمع مع الصَّلاة، وما دام الأمرُ كذلك فأنا أترك الصَّلاة لأني أفعل هذه المنكرات ولا أتخلى عنها.

نقول هذا التبرير خاطئ، وهذه الفكرة غير صحيحة:

أولاً: يجب ترك تلك الأمور الباطلة لأجل الصَّلاة، لا العكس أن تترك الصَّلاة لأجل تلك الانحرافات.

ثانياً: لو فرضنا أنَّ فلاناً من الناس عنده هذا الانحراف كما كتبتْ إحداهن عن زوجها أنَّه محافظٌ على الصَّلاة ولكنَّه منحرفٌ أخلاقيًّا، يتعرفُ على أُخريات ولديه علاقاتٌ غير مشروعة وإذا حصل له الحرام فهو يسير له رغم أنَّ زوجته موجودة معه وهي حلال له، ولكنَّ الشيطان يغويه ويغريه فيقول: أنا أترك الصَّلاة من أجل تلك الأمور لأنَّ هذه الانحرافات لا تصح معها، الصحيح أنه يجب عليه أن يترك تلك الانحرافات من أجل الصَّلاة وليس العكس، لو فرضنا أنَّ إنسانًا غلبه هواه ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان:٤٣]،

نقول لهذا وأمثاله: مع ذلك لا تترك الصلاة حتَّى لو كنتَ كذلك لا تترك الصَّلاة، لماذا؟

لأنَّك بذلك تُخَفِّف عليك أحمالَ ظهرك، تركُكَ للصَّلاة يزيدُ عليك من الذَّنوب، ويكلفُك في المستقبل أن تقضيَ ما فاتك، فأنت تزيدُ أحمالَ ذنوبك تلك ذنبا عظيماً وهو ترك الصلاة[1].

لا تترك الصَّلاة، فإنَّك عندما تفعلُ الخطأ ثمَّ تصلِّي فهذه الصَّلاة تُخَفّف من ذنوبك وتغسل آثارها وهو قول الله عزَّ وجلّ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ۞ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود:١١٤]، وقد مثَّل النبي محمد ﷺ إيَّاها بالنَّهر الجاري الذي يغتسل فيه المرء خمس مرات كلَّ يوم، أكان يبقى عليه من الدَّرن والوسخ شيء؟ فلا تترك الصَّلاة فإنَّها قد تُعطيك فرصةً للتوبة والعدولَ عن الخطأ والإثم، ذلك لأنَّها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

يبقى أنَّ البعض قد يقول: إنَّ فعل بعض المحرمات يجعل الصَّلاة غير مقبولة فما فائدة أن أصلّي؟ على سبيل المثال هناك حديثٌ أنَّ شاربَ الخمر لا تُقبل منه الصَّلاة أربعين يومًا، فإذا كان كذلك فما الذي يجعلني أصلي والحال أنَّها غير مقبولة؟ نقول هذا تحذيرٌ وتهديدٌ يُراد منها ترك شرب الخمر وليس معناه ترك الصَّلاة،

---

(١) فقد رُويَ عن النبي ﷺ: «أمّتي عَلى أربَعة أصناف... صِنف لا يُصلُّون أبداً، فكان لهم سَقر، وَسَقر اسم دَرَكَةٍ مِن دَرَكَاتِ جَهنَّم»، الإثنا عشرية، ١٥٨.

فعن رسول الله ﷺ: (إنَّ من شَرِبَ الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحا)[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (مَنْ شَرِبَ الخمر فَسَكَر منها لم يتقبَّل صلاته أربعين يومًا، فإنْ ترك الصَّلاة في هذه الأيام ضُوعِفَ عَليه العَذاب لِترِكِ الصَّلاة)[2]، وليس معنى عدم قبول الصَّلاة أنَّها غيرُ صحيحة، أو أنَّه يترك الصَّلاة، بل المعنى أنَّه لا يُثاب عليها فتكون فائدتُه من الصَّلاة أنَّه يُبرئُ ذمَّته، ولا يُعاقب على تركها، ولو هدى الله قلبه لا يحتاج إلى قضائها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سأله رجل فقال له: أصلحك اللهُ شُرْبُ الخمرِ شرٌّ أم ترك الصَّلاة؟ فقال: شُرْبُ الخمر ثمَّ قال: أو تدري لم ذاك؟ قال: لا، قال: لأنَّه يصيرُ في حالٍ لا يعرف معها ربَّه)[3]، أي بعد أن تعودَ لعقلك فعليك بالصَّلاة، وكذلك صاحب العلاقة المحرَّمة خفّف عليك حملَ ظهرك، فإذا أصبح حملك خفيفًا قد تحصل على الشَّفاعة ويُنظر في أمرك لكن إنْ تركتَ الصَّلاة فالأمر صعبٌ جدًّا.

---

(١) علل الشرائع، ج٢، ص٣٤٥.

(٢) الخصال: ٢/ ٥٣٤.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي، ج٣، ص٣٤٨، الكافي: ٦/ ٤٠٢، ح١.

هل أنا كافر لتركي الصَّلاة؟

يقول البعض: لقد صرتُ بمجرد تركي للصَّلاة كافرًا، فلا ينفعني شيء، سأرتكب المحرَّمات كما يحلو لي، ونقول هذا الكلام غير صحيح، وذلك أنَّ تارك الصلاة قسمان:

القسم الأوّل: الذي يكون تركُه تركَ فِسْقٍ:

يعلم أنَّ الله موجود، ويعلم أنَّ القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ كلَّها تأمرُ بالصَّلاة، ولكنَّه يقول أنا إنسانٌ ضَحِكَ عليَّ الشيطان، فتراه يترك الصّلاة، ولكنَّه يعترفُ بالصَّلاة ويعرف أنَّها موجودةٌ في القرآن وأنَّ الرسول ﷺ حثَّ عليها فهذا من أهل الفِسْق، وهذا أمرُه ليس بتلك الصُّعوبة لأنَّ تركه الصَّلاة كان عن فِسْق، يستغفرُ الله ويُخْلِص نيَّته ثمَّ يقضي ما فاته من الصَّلوات ولو بالتدريج. وعسى الله أن يتجاوز عنه.

ولو فرضنا أنَّ إنسانًا ترك الصَّلاة خمسة عشر سنة، ثم قال الآن تريدوني أن أصلي!!، نقول له: نعم، فالله لطيف بعباده، اقضِ ما فاتك من الصَّلوات، اسْتَغْفِر ربَّ العالمين وابدأ بقضاء صلواتك، وسوف ترى أنَّ الله غفر لك ذنوبك وكتب لك التَّوفيق، فرسول الله ﷺ يقول: (التَّائبُ من الذَّنب كَمَنْ لا ذنبَ له)[1].

---

(١) كنز العمال: ١٠١٧٤، ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ص٣٣٨.

القسم الثاني: الذي يكون تركُه للصَّلاة تركَ جُحُود:

فهو يقول لك مَنْ قال لك أَنْ تصلّي؟، مَنْ جاء بها؟، تقول له: أمر بها الله عز وجل و بلّغ الرسول، فيقول: أثبت ذلك، هذا الشَّخص -والعياذ بالله- تاركُ الصَّلاةَ جُحُوداً، فهو كافرٌ؛ لأَنَّه ينتهي إلى تكذيب الله والرسول وتكذيب القرآن.

أما إذا كان يعترفُ بالله والرسول ولكنَّه يقول أريدُ أنْ أعيشَ حياتي وأتحرَّر من هذه القيود، هذا يكون تركُه فِسْقًا ومعصيةً، إذا تَداركَ نفسَه واستغفرْ ربَّه وأخلصَ في توجُّهه لله ثمَّ بدأ بالقضاء تدريجاً فيُرجى له رحمة الله وغفرانه.

الموالي لا بد أن يُصلّي

ومن التبريرات الوهميَّة عند بعضهم تراه يترك الصلاة بحجَّة أنه موالٍ لأهل البيت ﷺ، وأنَّه يكتفي بذلك طريقًا للنَّجاة، فإذا كان يبكي في أيام موسم محرم على مصيبة الإمام الحسين وأهل بيته، وإذا كان يخدمُ في المواكب، ويلبس السَّواد في العزاء ويلطم، وما أشبه ذلك من مظاهر الولاء، فهو حاصلٌ على السَّعادة والنَّجاة، وهناك فكرة أخرى عند قسم من الناس وهي اشتبه عليهم أمر العلاقة بين الولاء والعبادات كأنْ يقول لك يأتي شهر محرم وألبس السواد وأُنفق في سبيل الله، وأقوم بغيرها من الأعمال الحسنة فأنا في مأمن لأني ركبتُ سفينة الحسين عليه السلام.

نقول له: وأين صلاتك ؟!، يقول: نحن أمورنا موكلة عند

الحسين وأهل البيت عليهم السلام فهم سفن النجاة، هنا نقول له: أنت تخدع نفسك، وإذا أحدٌ قال له هذا الكلام فهو يخدعه أيضاً، فإنَّ أمير المؤمنين عليًّا والحسينَ بل وحتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل الخلائق إنَّما بلغوا ما بلغوه بعبادة الله والتزام أوامره.

نحن إذا توقعنا أن ندخل الجنة بدون صلاة والتزام، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل الجنة بصلاة والتزام، فمعناه أننا أصبحنا أفضل من عليّ بن أبي طالب، واحد يحصل الجنة بدون تعب وآخر يحصل الجنة بمشقَّة وتعب.

لاحظ كيف يُخاطب الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:١-٢]، فيقولُ الله له: اكتفِ صلَّيتَ كثيراً خفِّف على نفسك إذا تريد ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢-٣]، ولا ترهقها أكثر، ذلك يدخل الجنة بهذا الجهد، وأنا أقول بدون هذه الأعمال فقط لأني أحبّ النبي وعلي والمعصومين فسأدخل الجنة لماذا أُرهق حالي وأصلّي؟! سوف أذهب إلى الجنة.

هنا نقول له استمع لهذا الحوار الجميل بين الإمام الرضا عليه السلام وأخيه زيد بن موسى بن جعفر المعروف بزيد النَّار، زيد النار هذا لم يكن محمود السيرة وهنا ننوه أنَّه ليس كلُّ أحدٍ من أهل البيت يكون أفضلَ الناس، أو أنَّ كلَّ أحدٍ من آل هاشم يكون أحسنَ الخلق. لا، هناك السَّيء، وهناك من يُتبرك بأنفاسهم، زيد النّار من هذا النوع فقام بفعل الأعمال غير الحسنة، فقد جاء أنّه(خَرَجَ زيدُ بنُ موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأَحرَقَ وقَتَلَ وكان يُسمَّى زيدُ النَّار،

فبعثَ إليه المأمون فأُسِرَ وحُمِلَ إلى المأمون، فقال المأمون: اذهبوا به إلى أبي الحسن، قال ياسر: فلمَّا أُدخل إليه قال له أبو الحسن: يا زيد أغرَّكَ قولُ سَفَلَةِ أهل الكوفة: إنَّ فاطمةَ أحصنت فرجَها فحرَّم الله ذريتها على النَّار، ذاك للحسنِ والحسين خاَّصة إنْ كنتَ ترى أنَّك تَعْصي الله وتدخلُ الجنَّة، وموسى بن جعفر أطاعَ الله ودخل الجنة فأنتَ إذاً أكرمُ على الله عزَّ وجلَّ من موسى بن جعفر، واللهِ ما ينالُ أحدٌ ما عند الله عزَّ وجلَّ إلا بطاعته، وزعمتَ أنَّك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت)[1].

أعذار لا تنفع لترك الصَّلاة

كذلك لا يغترنَّ أحدٌ بالقول بما أنّي موالٍ لأهل البيت ﰆ وأقيم المأتم وأنفق في سبيل الله وأساعد المحتاجين وغيرها من الأعمال، صحيح أنّ هذه الأعمال حسنة، ولكن ما نفعُها دون صلاة، هذا معناه أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- اختارك أن تكونَ ضمن صفوف المصلّين ومن صفوةِ المؤمنين المصلّين، وأضاف إليك شيئًا وهو خدمة أهل البيت ﰆ ومساعدة المحتاجين، أصبح لك وسام إضافي، ليس كما يُقال أنا خادم لأهل البيت وبدون صلاة وعبادة سأدخل الجنة، هذا القول يبطل الرسالات ويبطل الحساب والثواب والعقاب، فهذه الفكرة خاطئة قد لا تكون موجودة بشكل كبير ولكننا أحببنا أن نلفت إليها من باب التنبيه.

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ج٤٣، ص٢٣١.

أحيانا تكون عند الإنسان عقدة من نماذج معيَّنة تنتهي بالإنسان للتهاون بالصَّلاة، مثلا: يقول أحدهم والدي في الصَّف الأوَّل من الصَّلاة في المسجد والمسبحة لا تفارق يديه ولكن إذا حضر البيت تجده يُعنِّف أمي ولا يحترم إخوتي، لذلك أصبح عندنا عقدة ونفور من الصَّلاة التي يُصلّيها، هنا نقول: هذا خطأ الأب؛ لأنَّه لم يُحقِّق هدف الصَّلاة، كيف إنَّ صلاتك التي تصليها لم تنهك عن الفحشاء والمنكر؟!، كيف لم تنهك عن خلقك السّيء مع زوجتك وأهل بيتك؟!، كيف لم تكن الصلاة رادعاً لك من إيذائهم ؟!، هنا أنت تُخالف أهداف الصلاة، وأنت أيضا أيُّها الابن بما فعلتَه ارتكبتَ إثماً أسوأ وأعظم ممَّا ارتكبه والدُك وهو تركُك للصَّلاة، فوالدُك محافظٌ عليها ولعلَّ الله يهديه ويصلحه، وأنت تركتَ الصَّلاة التي كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، لك الحق بأن تعترضَ على والدك وتصرفاته لو كنتَ تصلّي وتنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن لا تترك الصَّلاة أبداً بداعي أنَّها لم تؤثر في والدك.

أنتَ عليك أن تصلي، فحين تكون أخلاقك طيِّبة، وسلوكك حسنًا، يمكنك أن تقول: أنا نموذج حسن للصَّلاة، ووالدي نموذج سيء للصَّلاة، أما أن تترك الصلاة فهذا الفعل غير صحيح.

أحياناً هناك بيئات يختلق فيها بعض الناس أعذارًا واهية لإهمال الصَّلاة، في العمل مثلاً نجد أنَّ فلانة تذهبُ للعمل بمكياجها وزينتها، وكأنها ذاهبة لحفلة زواج -القائلون بحلية كشف الوجه شرطوا أن لا يكون فيه زينة أبدًا وإذا وجدتْ زينة فعليها أن تسترها- تقول إذا

ذهبت للصَّلاة يتلفُ المكياج فتُضيِّع الصَّلاة من أجل المكياج.

وبعضهم يقول إنَّ الصَّلاة للعجائز وكبار السّن، أو البعض الذين يخرجون للدّراسة بالخارج ويكون تأثيرُ البيئة عليه بأن يترك الصَّلاة غداً لن ينفعك هؤلاء ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، هذا الذي يثبّطك ويبعدك عن الصّلاة لن ينفعك غداً مهما كان وكانت صفته عندك، فإذا صار لديك مشكلة دنيوية الذي ينفعُك هو من ترفع يديك له وتناديه (يا عِمادَ مَنْ لا عِمادَ لَهُ، يا سَنَدَ مَنْ لا سَنَدَ لَهُ، يا ذُخْرَ مَنْ لا ذُخْرَ لَهُ، يا حِرْزَ مَنْ لا حِرْزَ لَهُ، يا كَهْفَ مَنْ لا كَهْفَ لَهُ)، هذا الذي ينفعك هو من يجب أن تكون علاقتُك مفتوحةً معه دوماً وليس وقتَ الأزمة فقط، وبعدها تنقطع تلك العلاقة، وإن كان الله يُجِيبُ حتى في ذلك الوقت، ذلك الله الحبيب الحليم اللطيف الرؤوف الذي لا يزداد إلا لطفاً حتَّى بجاحديه، لكن أنت تحتاج أن تتذكر ربك في أيامك العادية حتَّى يحالفك التوفيق، تتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليك في كل شيء، وذلك بشكره على نعمه عبر تلك الصَّلاة التي لو حسبتها فهي نصف ساعة من اليوم أجمع، لو حسبت فهي سبعة عشرة ركعة لكلّ الصلوات مدّة كلّ صلاة لا تتجاوز دقائق، جرّب الحساب سوف ترى أنَّ صلاة الفجر لا تتجاوز دقيقتين أنعم الله فيها عليك بالصحة والعافية وتمامها، فينبغي للإنسان أن يُحافظ على الصّلاة من باب شكر الله على نعمه.

ما المطلوبُ مِنَّا؟

المطلوب أن ندعوَ لهذه الصَّلاة بشكل مستمر في أسرتنا وفي مجتمعنا وفي كلّ مكان، فالله يخاطب الرسول ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، الآية مكية والنداء لأهله في ذلك الوقت وأوَّل من آمن به كانت خديجة بنت خويلد وإلى جانبها علي ابن أبي طالب وهم عِليَةُ المؤمنين، أوَّل مؤمن وأوَّل مؤمنة، ومع ذلك يقول له وأمرهم بالصلاة واصطبر عليها أي: بالاستمرار والصبر عليها، الافتعال من الصبر معناه الصَّبر والاستمرارية.

فالله أنعم عليك أيّها الإنسان بالوجود ولم تكن قابلاً للوجود ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]، ترليونات الحيوانات المنوية ذهبت هباءً ولم تنتج إنسانًا، مليارات البويضات ذهبت دمَ حيض في الزبائل ولم يحدث شيئاً، الله سبحانه وتعالى مَنَّ عليك أنت بالذات أنّه اختارك وأصبحتَ إنسانًا، في حين أنك لربما كنتَ حيوانًا منويًّا مُسِحَ بالمنديل وأُلقي في الزبالة، الله مَنَّ عليك بأن أوجدك وخلقك وجعلك إنسانًا سَوِيًّا.

هل خلقتَ الهواء الذي تتنفسه؟

هل اشتريتَ الضّياء الذي يشرق عليك؟

هل أتيتَ بالماء؟

لو كان هذا الكوكب بلا ضياء سرمديٌ ماذا سيحدث ؟

لو أنّ الله جعل ماءكم غوراً لا يوجد ماء فماذا سيحدث ؟!

ولكنَّ الله أعطاك ووفَّرها لك كلُّ ذلك مجاناً، أنت لم تطلبها من الله، إنما أتيتَ لهذا الكون وهي محضَّرة لك مقابل أن تصليَ له تلك السبعة عشر ركعة ولن يناله منها شيئا، قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، فأنت تقول عقيب كلّ صلاة (إلهي هذه صلاتي صلّيتها لا لحاجةٍ منك إليها، ولا رغبة منك فيها إلا تعظيماً وطاعةً وإجابةً لك إلى ما أمرتني، إلهي إن كان فيها خللٌ، أو نقصٌ من رُكوعها أو سُجودها فلا تؤاخذني، و تفضَّل عليَّ بالقبول والغفران، برحمتك يا أرحم الراحمين).

فالمطلوب منَّا أن ندعو للصَّلاة، ندعو لها بالأذان فنحكيه بترديد كلمات الأذان بصوتٍ عالٍ ليُسمع مَنْ حوله، وإذا كان المكان غير مناسب يحاكيه بما يُسمع نفسه، فإذا حاكاه بصوته ووصل صوتُه لعددٍ من الناس وتذكَّروا وقت الصَّلاة وصَلُّوا بصلاته يُغفر له بعددهم ويُثاب على هذا الإيصال.

ينبغي علينا أن ندعو للصَّلاة من خلال عمل مسابقات كمسابقة للأذان (أجمل صوت للمؤذنين)، أو مسابقة للالتزام بالصَّلاة للأطفال الصغار يُعطى هدية ويُشجَّع عليها، فقد أُكّد على تشجيعهم وحَثّهم عليها من سن سبع سنين.

ينبغي علينا أن ندعو للصَّلاة في المدارس والمؤسسات

والشركات، أنت تصلّي في مستشفى أو عملك، أخبرْ مَنْ حولك أنَّه حَانَ وقت الصَّلاة دعونا نقوم لأداء الصَّلاة، تصلّي في المدرسة صلِّ أمام الطَّلاب ليتخذوك مثالاً وقدوةً لهم، وهكذا في سائر الأماكن، في البيت تصلي ارفع صوتك بالأذان وأخبر الأولاد أن هلمُّوا نصلي الآن، أو صلّ بهم جماعة بالتدريج فهذا يشيع أمر الصَّلاة.

فأمرُ الصَّلاةِ أمرٌ عظيم جدّاً، يكفيكم فيها ما هو معروف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام صلَّاها في العاشر من محرم مع الاشتباك ومعمعة الحرب، أبو ثمامة الصيداوي -كما ذكرنا سابقًا- رأى أنّه قد اقترب وقت الصَّلاة قال للحسين عليه السلام إني لا أريد أن أقتل إلا وقد صلَّيت هذه الصَّلاة معك، عجيبٌ أمر هؤلاء الأصحاب.

قسمٌ من الناس عنده أنَّ الشُّغل وهو من أشغال الدنيا يُؤخِر الصَّلاة ساعتين ثلاث حتى ينهيَه وهذا الصَّحابي الجليل يأتي ويقول أريد أن أصلي معك وهم مشغولون في الحرب وفي قمة الأزمة، يرقب السماء ينتظرها، وليس أيّ صلاة، أريد أن أصلي معك يا مولاي، قال له ذكرت الصَّلاة جعلك الله من المصلّين الآن أوَّل وقتها سَلُوا القوم أن يكفُّوا عنّا حتى نصلي، فهل نعي ونفهم حقيقة تلك النعمة علينا أن اختارنا الله عزَّ وجلَّ لنكون من المصلين، وهل فهمنا ماهي رسالة الحسين عليه السلام وأصحابه لنا ؟

هكذا نشجع على الصّلاة

قال تعالى ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٧٣].

هذه الآية المباركة تحكي عن دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما جاء قاطعًا هذه المسافة البعيدة من بلاد الشام إلى بلاد الحجاز في مكة المكرمة وأسكن زوجته في هذا المكان المبارك وولدها.

لو تأملنا القصة برمتها لتبيَّن أنَّ بناء الكعبة المشرفة، هي غاية عند الأنبياء للتوحيد وعبادة الله تعالى، وبناء مكان يكون مخصّصًا لعبادة الله، والتوجه إليه وقت الصَّلاة، فبعث الله تعالى نبيّه إبراهيم عليه السلام ليردَّ الناس إلى الإسلام من جديد، ولولا هذه الرحلة، لم توجد مكة ولا قبلة، ولا فريضة حجّ و لا دين.

فقد جاء إبراهيم ﷺ من بلاد الشام إلى مكة المكرمة وعمره ٦٨ سنة، وأسكنهما في هذا الوادي غير ذي الزرع انصياعا لأمر الله تعالى ولم يكن بمكة يومئذ أنيس من الناس ولا ماء للشُّرب ولا زراعة، وغادر إبراهيم المكان تاركاً زوجته و رضيعها، وهي مطمئنة القلب راضية بقدر الله تعالى وعظيم رحمته، ثمَّ وقف نبيُّ الله إبراهيم مستقبلاً بوجهه مكان البيت الحرام، رافعاً يديه إلى السماء داعياً بذلك الدعاء الكريم الذي سجله القرآن الكريم قائلاً: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ثمَّ غادر المكان راجعًا عنهما، بلاد غير مهيئة للسّكنى كما في الشَام حيث المناخ الجيّد والتربة الخصبة والمياه الوفيرة، ومع ذلك جئت بهم لهذا المكان لغرض وهو ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، هنا سيكون بناء التوحيد ومنطلق الإيمان وستُبنى الكعبة المشرفة من جديد، فتقام الصَّلاة.

التشجيع على إقامة الصّلاة هي مسؤوليتنا

مَنْ ينظر إلى الطرف المعادي للإيمان تراه يركّز تركيزاً كبيراً على منع الصَّلاة وعلى تخفيف الاهتمام بها قدر الإمكان بشتّى الوسائل والحجج، ولربما أنكم سمعتم أنه في إحدى الدُّول الإسلاميَّة قد تمَّ معاقبة إحدى الطالبات لأنها أدّت الصَّلاة في مدرستها فقامت مديرة المدرسة في ذلك البلد الذي يُفترض أنَّه مسلم بمعاقبتها لماذا صلَّت؟! وعندما سُئِلَت وزيرة التعليم عن هذه الحادثة أجابت إنَّ الأمر طبيعيّ لأنَّ المدرسة مكان للتعليم وليس مسجداً أو مكاناً

لإقامة الصَّلاة، ولكننا لو نظرنا وتَمعَّنا جيّداً لعرفنا أنَّ المدرسة هي مكانٌ للتربية والتعليم.

فلو فرضنا أنَّ ذلك البلد ينتهج منهجاً علمانيًّا -العلمانيَّة هي فصل الدّين عن الحياة- أي لا تجعل الدّين حاكمًا ولكننا لا نتحكم فيك لنجعلك ترفض الدّين، بالعلمانيَّة نقضي على دينك ونمنعك من الصلاة ومن أداء الفرائض.

وهذا يشير إلى أنَّه من اللازم بالنسبة للمؤمنين أن يحرصوا على قضية التَّشجيع على الصَّلاة والحثّ على إقامتها، ولكن للأسف نحن نلحظ في هذه الفترات المتأخرة ولأسباب متعددة أن الالتزام بالصلاة ليس بالمستوى المطلوب، فعلى سبيل المثال عندما تعمل استبيان كم عدد الطَّلاب في المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعة ممن هو ملتزم أو ملتزمة بالصّلوات ؟ قد لا تجدها كبيرة في أغلب بلاد العالم الإسلامي وهو أمر غير صحيح، وينبغي التفكير فيه، ولكن لا تحسبنَّ أنَّ الأمر بعيد عنَّا فمن الممكن أن تصل أمواجها إلينا عبر وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي أوالأفلام وغيرها، من الممكن أن تصل لأبنائنا أيضاً، لذلك ينبغي التفكير في هذا الأمر والاهتمام به.

كيف وأين أُشيع الصَّلاة؟!

بيئة البيت

فالبيت من البيئات المؤثرة أشدَّ التأثير في اهتمام الأبناء والبنات في قضية الصَّلاة، كتبت إحداهن ابنتي بالغة ومكلَّفة من الناحية الشَّرعية لكنها مُضيّعة للصَّلاة، مرّةً تصلّيها بوقتها، و مرّةً تؤخرها، و مرّةً لا تصلي أصلاً فماذا أصنع ؟ بعد المحاورة معها تبيَّن أنَّ الاهتمام بالصَّلاة والمتابعة من قبل الأبوين غير كافٍ، وهذا ينعكس على الأبناء، فعندما يرى الابن أباه جالسًا على التلفاز مثلاً إلى أن ينتهيَ وقت الصَّلاة ثمَّ يقوم يصلي، فهذا يعطي رسالة سلبيَّة مباشرة للابن أنَّ هذه الصَّلاة غيرُ مهمّة، وبالإمكان أداؤها في أيّ وقت، فلو قام أوَّل وقتها أو آخره فهذا جدّاً طبيعي لا مشكل فيه.

ولو أنّ فتاة رأت أمّها منشغلةً بالمطبخ وعملها فيه و قد حان وقت الصّلاة، فرأت أمّها اختارت وقت الطبخ على وقت الصَّلاة فهذه الأم أيضا تعطي رسالة سلبيَّة مفادها أنَّ المطبخ أهمّ من الصّلاة، مفاد تلك الرسائل السلبيَّة أنَّ العمل أهمّ من أيّ صلاة، أنت بدون كلام تُرسلُ لأبنائك الرسائل بطريقة غير مباشرة أن لا داعي للاهتمام بالصَّلاة.

ولكن لو انعكس الأمر لو أنَّ شخصًا اتصل بأحد الأبوين في وقت الصلاة، فيرى الولد الأب أو الأم يعتذران للمتصل عن الحديث لأنهما متوجان للصّلاة وسيكلّموا المتصل بعد الانتهاء من الصَّلاة، فهنا الوالدان يُرسلان رسالة إيجابيَّة لأبنائهم أنَّ وقتَ الصَّلاة أهمّ من أيّ شيء آخر حتَّى لو كان يدرُّ المال الوفير.

إذن في بيئة البيت يحتاج الإنسان إلى أن يقوم بأمور على وجه العلن ليكون قدوةً يشجّع مَنْ هم حوله عليها، كما الصَّدقة هي في السّر أفضل ولكن أحيانا نحتاج أن نعلن عنها لكي نشجّع الآخرين ليبادروا إليها، كذلك الصَّلاة، فبيئة البيت أيضاً مشجّعة وحاثّة عليها.

دور يوم الجمعة

استرفاق الأبناء والبنات لأماكن الصلاة لاسيما في الجمعة، فحين تجد الوالدين انشغلوا ببوادر الصَّلاة والتهيؤ لها، وعلى طرف آخر تجد ذلك البيت في سباتٍ لغاية السَّاعة الثانية ظهراً، ربما لم يستيقظ منه أحد، كيف تريد من أبنائك الالتزام وأنت لم تلتزم أو تبادر للصَّلاة حتى في يوم الجمعة التي قال تعالى فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

كيف تريد بعد هذا إذا كنتَ نائماً لوقت متأخر بعد الصَّلاة أن تأمرهم أن يقيموا الصَّلاة ويبادروا لها!، أنت تُرسل رسائل لهم، وهم يترجموها كما وصلتهم، فأفعالنا وممارساتنا قدوة لهم، فأنت تقول أنا في أيام الأسبوع مشغولٌ بعملي وحين وقت الصَّلاة لا أكون موجودًا أمامهم، وهم في مدارسهم مشغولون لا أجد وقتا لهم، نقول لك أيُّها الأب العزيز هذا ليس بعذر وَهَا قَد وُجِدَ لديك يوم الجمعة فما عذرك فيه؟! هناك بعض الناس يعلّقون على بعض

آخر أنهم لا يعرفون الصَّلاة إلا في يوم الجمعة، وهناك أيضاً لدينا قسم لا يعرفون الصَّلاة حتَّى في أيَّام الأسبوع وليس في يوم الجمعة لأنه يكون ربما نائمًا لوقت الأذان أو لما بعد الأذان .

أيها الوالدان استرفقا ابنكما أو ابنتكما للصلاة ما استطعتما

قل لولدك الصّغير أنا أكافئك بكذا إذا أتيتَ معي للمسجد ثلاث مرات على سبيل المثال، أثني عليك إذا عملت هذا العمل، فهذا أيضا من بيئة البيت المساعدة على إقامة الصلاة، ينقل عن نبينا محمد ﷺ مما حدثت به بعض زوجاته (كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه)[1]، أي: انقطع انقطاعًا تامًّا للصَّلاة فها هي : حيَّ على الصَّلاة حيَّ على خير العمل .

وهي بمعنى: أنَّ هذه الأمور لا تشغله عمَّا هو أعظم منها، وهو الصَّلاة، فإذا قال المؤذن: الله أكبر، يعني أنَّ الله أكبر من الزَّوجة، ومن الأولاد، وأكبر ممَّا في يدك ممَّا تشتغل به، لأنَّ ذلك يدلُّ على أنَّ الله أكبر من كلِّ شيء أنت مشتغلٌ به، من المكالمة، من الجهاز، أو غير ذلك، لا أن تضيع عليه الصلوات بسبب هذه الأمور، فتهيئة الأولاد تنفعكما أيها الوالدان عندما يصل أبناؤكما لمرحلة البلوغ والتكليف.

---

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ج٨١، ص٢٥٨.

بيئة المدرسة

كذلك بيئة المدرسة لها دور كبير في التشجيع على الصّلاة، فمن الواضح أنَّ الأبناء من سن السَّادسة يذهبون للمدرسة والغالب أنَّ وقت صلاة الظهر هم في المدارس ولله الحمد أنَّ في بلادنا قانونًا يقضي بوجود وقت للصَّلاة في كلّ مدرسة وقت خاصّ يُقتطع من اليوم الدراسي لا يقِلُّ عن عشرين دقيقة لأداء الصّلاة، وفي بعض البلاد الإسلامية أيضاً، ربما بعض المدراء والمدرّسين مَنْ يُلغي هذا الوقت بحجّة أنَّه يريد الانصراف مبكّراً، فهو مخالف للقانون وهو لا يعلم أنَّه بذلك تَسَبَّب بضياع تعليم وإعطاء ذلك الابن فرصة الالتزام بالصَّلاة والمحافظة عليها، عندما يجد مُدَرِسيه ومُديرَهُ قدوةً له يُصلُّون أمامه و يتركون كلَّ ما لديهم من أجل القيام بالصَّلاة، فأنت تزرعُ فيه المحافظة عليها، فهناك بعض الطلاب لديهم حاجز يخشون حين يقومون لأداء الصَّلاة أن يستهزأ بهم الطلاب أو أن ينتقدهم أحد، لكنَّه عندما يرى مديرَه ومدرسَه يدعوهم للصَّلاة ويرونهم أمامهم يُصلُّون فله كبير الأثر، فلربما كان ممن لا يصلّي ومع هذا الموقف وتكراره نجده بدأ بالصَّلاة وربما بالالتزام بها، وهذا معنى كونوا دعاة لنا صامتين أو بغير ألسنتكم كما ورد عنهم ﷩، فعن الإمام الصادق ﵇: (كونوا دعاةً للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصَّلاة والخير، فإنَّ ذلك داعية)[1]، أنت هنا ودون أن تتكلم أصبحتَ داعياً لله، فأنت تشيع الصَّلاة في

---

(١) الكافي: ٢/ ٧٨/ ١٤، وح٩.

المدرسة، ومن هنا نوصي المدراء والمدرسين والطلاب المتقدّمين أن يُقيموا الصَّلاة في المدارس فهي وسيلة لإشاعة الصلاة والمحافظة عليها.

فأنت تقوم بعمل من الأعمال الكبيرة، فالطَّلاب ينظرون لمعلّمهم نظرةَ إجلالٍ وتعظيم، انصحْ بلسانك، وخيرٌ من ذلك أن تطبّقه بالعمل والفعل، وهكذا الحال بالنسبة لبيئة العمل والشّركة التي تعمل فيها والمؤسسة التي أنت موظفٌ فيها لاسيما في بلادنا وفي غيرها من البلدان الإسلاميّة فهناك وقت مخصوص للصَّلاة لكي تصلّي فيه، وبفعلك هذا تكون داعيًا لله وسراجًا منيرًا كما كان رسول الله ﷺ، فأنت منذرٌ بالصَّلاة ومبشرٌ بها و تكون سراجاً منيراً تضيء للآخرين حين تزيل هذه الحواجز.

بعض مرافق المجتمع

النوادي الرياضية أيضاً لها دورها في إشاعة الصَّلاة، فتجد بقدر ما يكون المدرّب ملتزمًا بالصَّلاة و محافظًا عليها تجد من يتدرّبون لديه أيضا يلتزمون ويحافظون عليها من اكتسابهم لأخلاق مدربهم، فتجده يقوم للصَّلاة ويحثُّهم على القيام للصَّلاة، فبذلك يُشرِكُ في ثواب صلواتهم حين يدعوهم لهذا العمل الخير.

أيضاً في المساجد لابد أن نجعل بيئة المساجد بيئة جاذبة وليست طاردة، فعلى سبيل المثال قد نجد بعض الشَّباب لبسه أو حلاقة شعره أو حلاقة وجهه جاءت بشكل معيَّن قد يكون ملفتًا بشكل لا يتقبله

المجتمع، فهنا يتوجب علينا أن لا نشعره بالغربة بل أن نتلطَّف معه ونحدِّثه بشكل لطيف بعد أن نفرغ من الصَّلاة، وندعوه بالحسنى حتى نشجعه للعودة مرة أخرى ،لا أن نقوم بجرحه أو الحديث معه بشدَّة وبطريقة سيئة تجعله ينفر ولا يحضر للمسجد مرة أخرى.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾

كم هي عظيمة ومعانيها مهمة تلك الصَّلاة التي من أجلها حضروا من تلك البلاد البعيدة، جاؤوها من بلاد الشام إلى الحجاز مع كل تلك الظروف الصعبة والتضحيات الجسيمة ليقيموها.

فهل لنا أن نقفَ ونتفكَّر ونراجع حساباتنا قليلاً مع تلك العبادة العظيمة، الصَّلاة، وما أدراك ما الصَّلاة؟!

نسأل الله أن يجعلنا ممن تتحقق فيهم دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ويجعلنا وايَّاكم من المصلين القانتين و يجعل ذلك ساريًا فينا وأهلينا وفي ذرياتنا إلى يوم الدين.

وصلِّ اللهم على محمّد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الفهرست

قنوات التواصل مع الشيخ

الايميل	fawzialsaif@gmail.com
الموقع الالكتروني	www.al-saif.net
قناة اليوتيوب	m.youtube.com/user/Fawzial-saif
تطبيق آيفون	bit.ly/alsaifapp
تطبيق أندرويد	bit.ly/1zPHwFh
قناة التلغرام	bit.ly/1M8Lzhk
المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس	goo.gl/VMmT7X
روابط المقاطع القصيرة	goo.gl/XkTvmj
قناة الساوند كلاود	m.soundcloud.com/fawzialsaif
تطبيق الكتب اندرويد	play.google.com/store/apps/de-tails?id=net.alsaif.books
ايفون وايباد	appsto.re/us/_ptClb.i
الموقع الرديف	al-saif.app
الانستغرام	instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195mov23vh9mx
قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون	apple.co/31oqGiO